جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم : الفلسفة

تخصص : فلسفة عامة

الرقم التسلسلي: .....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص: فلسفة عامة

بعنوان

الليبرالية عند جون لوك

إعداد الطالب :

* يحي حميدة

تحت إشراف :

* أ. د خوني ضيف الله

السنة الجامعية : 1440–1441 هـ / 2019–2020 م

بسم الله الرحمان

الرحيم

شكر وتقدير

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات،تتبعثر الأحرف
وعبثاً أن نحاول تجميعها في أسطر
سطورٍ كثيرة تمر في الخيال ولا يبقى لنا في نهاية المطاف إلا قليلٌ من الذكريات وصور تجمعنا برفاق كانوا

إلى جانبنا،فواجب علينا شكرهم ونحن نخطو خطوتنا الأولى في غمار الحياة ونخص بجزيل الشكر والعرفان كل من أشعل شمعة في دروب عملنا إلى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا
إلى أساتذة قسم الفلسفة بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة واخص بالشكر الجزيل إلى جميع أساتذة قسم الفلسفة

وأتقدم بكل احترامي لأستاذي
خوني ضيف الله الذي تفضل بإشرافه على هذا البحث فجزاه الله عنا كل خير فله منا كل التقدير والاحترام

الإهداء

إلى وطني الغالي مهد الحضارة ووطن الثورة والبطولات
الجزائر
إلى الأرواح الطاهرة الّتي ارتقت إلى سماء المجد،فعطرت الدرب بدمائها
شهداء الثورة الأبرار
إلي من سهر اليالي وقطع المسافات لأكون انسانا متعلما ابي العزيز
والى من بذلت الغالي والرخيص لأكون انسانا متخلقا امي الحبيبة
حفظكما الله ورعاكما وطال في عمركما
الى من كبرت على خطاهم واخص بالذكر اخوتي
من كبير العائلة حسان وزهرة و كذالك حمزة ولطفي
وزكرياء لأصل في هذا اللإهداء الى رشيدة ومروة
والى حلاوة البيت وصغير العائلة منصف
كذالك اهدائي الى النجم اللامع في سماء الصداقة وكان لي سندا راسخا وعونا روحيا ومعنو يا
امحمّد العيشي
ولا انسى بالذكر زملائي وأحبتي
عصام جلالدة –محمود بن خنافة –اسامة بن دحمان
والى زملائي في قسم الفلسفة وكل من اعرفهم من قريب او بعيد
وغيرهم من هم في ذاكرتي ولم تسعهم صفحة من مذكرتي

لكم جميعا اهدي ثمرة جهدي المتواضع

مقدمة

عرف المجتمع الغربي العديد من التطورات والتغيرات الحقت معها تصدعات وانقلابات علا مستويات عديدة ولعل أهمها الثورة على القيم الاستبدادية والأفكار الخرافية للكنائس حيث نتج عن ذالك تعسف الكنيسة إزاء العلماء والفلاسفة لدرجة التضحية والإعدام بهدف من الكنيسة وهو تطير النوايا والجسد من الأفكار وخلاص النفوس وان الخوض في تغير الفكر أو ما شابه ذالك يعد خوض في عقيدة بحد ذاتها ولعل أبرز مثال عن ذالك إعدام **جوردانو برونو** سنة 1600 كما عرض **غاليلو** امام المحكمة سنة 1632 وغيرهم من الفلاسفة اللذين عايشوا سلطة الكنيسة في العصور الوسطى وحتى بداية العصر الحديث فهذه المعارضة الشرسة من طرف الكنيسة أدت إلى ظهور اتجاه ليبراليي ديمقراطي ينادي بالحق في التفكير والحرية ورفع شعار التسامح الديني وغيرها من الحقوق التي طمستها السلطة الدينية بحجة التفويض من الإله ففكرة الليبرالية داخل المجتمع لم تكون وليدة عصر معين بل كانت مكرسة منذ العصور القديمة لكن ليست بالصورة ثابتة بل تتغير حسب ظروف كل عصر فكانت حاضرة في العصور القديمة اليونانية مع افلاطون حين قسم الدولة وربطها بالنفس الإنسانية بهدف تحقيق العدل والديمقراطية داخل المجتمع وقبله المدرسة السفسطائية بتقديس الإنسان وجعله مقياس جميع الأشياء مرورا بعد ذالك بالعصور الوسطى,لنصل الى العصر الحديث الذي تغيرت فيه المفاهيم رأسا على العقب وبدأ مفهوم الليبرالية يأخذ منحى آخر خاصة مع الفيلسوف الانجليزي جون لوك الذي جاء بفكره السياسي مناقضا لفكر ما قبله توماس هوبز فيما يخص حالة الإنسان الأولى ومؤيدا له في مبدأ التعاقد الاجتماعي كوسيلة لتحرير الفرد ومنحه الحرية الكاملة بجميع مجالاتها داخل المجتمع وأيضا ممهدا للذي بعده وهو جون جاك روسو في نفس السياق فجون لوك بنى فلسفته الدينية والسياسية والمعرفية استنادا بشتى الفلسفات لتي سبقته وخاصة ديكارت في مسألة هدم الأفكار ومنهجية الشك فيها بطريقة عقلانية إحصائية ومحاولة هدم المنطق الارسطي السائد طوال القرون الوسطى هذا في مجال المعرفي اما المجال السياسي فقد اسلفنا القول في تعارضه مع توماس هوبز والى جانب ظروف عصره والتي كان فيها فيلمر من مؤيدي الحكم المطلق الاستبدادي ليهاجمه جون لوك بكتابة بمقالتين في الحكومة سنة يوضح لنا فيها لوك طبيعة الإنسان الأولى وهي حالة الاستقرار والملكية وحالة السلم والحرية وانه للحفاظ عليها وجب تنازل الأفراد عن بعض حقوقهم ووضع تعاقد الحكومة للحفاظ على هذه الحقوق وان اي إخلال بها يعطي الاحقية للثورة على النظام كل هذه الأفكار تضعنا امام عدة إشكاليات وتساؤلات بخصوص ليبرالية جون لوك وهي وكذلك في دعم حرية تملك البرجوازي الطامحين للثراء الفاحش , تم تفعيل مبدأ الفردية لدعم الملكية الخاصة وهنا يبرز دور جون لوك وفلسفته في دعم الرأسمالية , حيث برر المكاسب الرأسمالية بطريقة أخلاقية , فالأرض مشاع للبشر وعلي قدر عمل الإنسان فيها يتملك منها , .هذه منطلقات الفكر الليبرالي التي تأسس عليها ويبقي له ما يشترك فيه مع الأنساق الفكرية الأخرى وهو العلمانية ,كل هذه

الافكار التي جاء بها لوك تضعنا اما اشكالية وهي كالتالي **ماهو مضمون المشروع الليبرالي لجون لوك؟هل استطاع جون لوك ان يحدد مفاهيم جديدة ذات البعد الليبرالي ام كانت مجرد تجميع للفلسفات السابقة؟وما مدى مساهمة افكار جون لوك في تغيير المجتمع العالمي ككل؟**

وقد تناولت هذه الاشكالية من خلال تقسيم البحث الى ثلاث فصول هي كالتالي:

مقدمة

الفصل الاول:الليبرالية بين النشأة والأساس والمفهوم

**المبحث الاول:الليبرالية وتاريخها*

1:مفهوم الليبرالية

2:نشأة الليبرالية

**المبحث الثاني:مراحل الليبرالية وأسسها*

1 :المراحل التاريخية لليبرالية

2 :اسس الليبرالية

**المبحث الثالث:السيرة الذاتية كمرجعية فكرية لجون لوك*

1 حياته العلمية و مؤلفاته

2 مرحلة الادراك للأوضاع والاهتمام بالسياسة

الفصل الثاني :الابعاد السياسية في فلسفة جون لوك

المبحث الاول :الخلفية الفلسفية لمقالتين في الحكومة

1:التمرد على مطلقية الحكم

2:السلطة الابوية والوراثية بين فيلمر ولوك

المبحث الثاني :الانتقال من الحالة الطبيعية الى الحالة الاجتماعية

1:خصائص الحالة الطبيعية

2:الانتقال الى النمط الاجتماعي

المبحث الثالث:نظرية العقد كممارسة فعلية في الحكومة

1:في معنى وتاريخية العقد الاجتماعي

2:العقد الاجتماعي حسب جون لوك

الفصل الثالث :ميلاد النمط الديمقراطي وبزوغ الثقافة الليبرالية

المبحث الأول :السلطة والحكومة في فلسفة لوك السياسية

1:في طبيعة السلطة السياسية

2:انواع الحكومات عند جون لوك

المبحث الثاني :الليبرالية بشقيها السياسي والاقتصادي

1 :بين الديمقراطية والليبرالية

2:البناء الاقتصادي وأسسه

المبحث الثالث:التسامح وصدى ليبرالية لوك في الساحة العالمية

1:التسامح وفصل الدين عن الدولة

2:اثر ليبرالية جون لوك على الواقع العربي والغربي

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

***المنهج المتبع في الدراسة**:اما بالنسبة للمنهج المتبع فاتبعنا عدة مناهج منها ماهو تاريخي للتتبع تاريخية الفكر الفلسفي والسياسي قبل جون لوك والتحليلي الوصفي افادنا في تحليل النصوص الاصلية و احيانا المقارن لأننا وفقنا عند تحليلنا لنظريى العقد مع باقي الفلاسفة ومسألة الليبرالية بين العرب والغرب ومقارنة وجهات النظر المختلفة حولها وكنا بين الفينا والأخرى نستخدم المنهج النقدي لأن طبيعة الموضوع تقتضي ذالك.

***الاسباب والدواعي لاختيار الموضوع**:لم يكن الاختيار لهذا الموضوع اعتباطيا بل كان لأسباب موضوعية تود الى ان جون لوك اتسمت افكاره بالتجديد نتيجة الانفتاح الفكري والسياسي الغير تعصبي اثر في الفكر الغربي في عمومه ولمسنا عنده بروز فكر ليبرالي ذات بعد تسامحي والذي يعد مطمح الفلسفات الراهنة,اما الاعتبارات الذاتية تتعلق بالتطلع على الفكر الفلسفي الانجليزي في العصور الحديثة خاصة منه فكر جون لوك ومعرفة مضامينه التي احتلتها وشهرته الواسعة في ساحة الفلسفة السياسية .

***الصعوبات**:كل لا يخلو من الصعوبات وهي متعددة منها ما تعلق بترجمات الكتب الاصلية و الاجنبية ايضا ما تعلق بدراسات حول هذا الموضوع نظرا لتشابه وجهات النظر فيه ..

الفصل الاول:الليبرالية بين النشأة والأساس والمفهوم

*المبحث الاول:الليبرالية وتاريخها

1:مفهوم الليبرالية

2:نشأة الليبرالية

*المبحث الثاني:مراحل الليبرالية وأسسها

1 :المراحل التاريخية لليبرالية

2 :اسس الليبرالية

*المبحث الثالث:السيرة الذاتية كمرجعية فكرية لجون لوك

1 حياته العلمية و مؤلفاته

2 مرحلة الادراك للأوضاع والاهتمام بالسياسة

الفصل الأول:الليبرالية بين النشأة والأساس والمجال

المبحث الأول :الليبرالية و مراحلها

1 مفهوم الليبرالية :إن رسم اي دلالة كلية يجب أن نضع في الاعتبار وجود اختلافات نظرية ومعرفية تصل احيانا إلى درجة التناقض بين منظريها .فلابد أن نعي ان الليبرالية من حيث وجودها النظري والفلسفي تشهد تباينات تصل إلى درجة الاختلاف الشديد بين الرؤى فالفكر الليبرالي عند جون لوك يتميز عن ليبرالية مادسون وليبرالية فريدريك هايك تختلف عن تختلف عن ليبرالية فريدمان ذات المنظور التحريري الإطلاقي[1] ونظرا لكل هذه الاختلافات وقع اختياري الشخصي على عدة تعاريف تمس ولو قدر من الشمولية حول هذا المصطلح فقد جاء في المعجم الفلسفي ان الليبرالية "...مذهب يقوم على احترام حرية الفرد واستقلاله ومنحه اكبر قدر ممكن من الضمانات ضد أي تعسف ... "[2] وجاء في موسوعة لالاند ألفلسفية..."ان الليبرالية هي الاستقلال عن المؤثرات الخارجية وهي انواع ليبرالية مادية ،ليبرالية سياسية ،ليبرالية مدنية ،ليبرالية دينيه ليبرالية اقتصادية "[3]وقد عرفها جان جاك روسو هي الحرية الحقيقة ان نطبق القوانين التي شرعناها لأنفسنا ،ويعرفها توماس هوبز "بأنها غياب العوائق الخارجية التي تحد من قدرة الانسان على ان يفعل ما يشاء)وهي بالنسبة لجون ستيوارت ميل الذي يعد الاب الروحي للفكر الليبرالي (..اطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطريقة التي يرونها طالما لا يحرمون الغير من مصالحهم او لا يعوقون جهودهم لتحقيق تلك المصالح ،فكل فرد يعد اصلح رقيب على ثروته الخاصة سواء كانت هذه الثروة جسمانية ام روحية ام فكرية

ولكي لا نثقل على القارئ كثرة التعاريف وتشعبها نقول ان الليبرالية مذهب فكري يركز على الحرية ألفردية ويرى وجوب احترام استقلال الافراد ويعتقد ان الوظيفة الاساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التعبير والتفكير والملكية الخاصة ،والحريات الشخصية وغيرها ،ولهذا فانه يضع القيود على السلطة وتقليل دورها وأبعادها عن

السوق وتوسيع الحريات المدنية ".[4]

---

[1] طيب بوعز. نقد الليبرالية. دار التنوير للنشر والإعلام. مصر 2013 ص19

[2] المعجم الفلسفي ،مجمع اللغة العربية ،القاهرة ،دار الوثائق 1983 ص 49

[3] اندري لالاند،موسوعة لالاند ألفلسفية,ترجمة خليل أحمد خليل المجلد الأول منشورات عويدات ، بيروت ط 2 ص 725

[4] طلال حامد خليل,المرتكزات الفكرية لليبرالية,مجلة دفاتر السياسة والقانون,جامعة الجزائر,العدد الخامس عشر ,جوان 2016 ص 15

2 مشكلة ألنشأة :نشأت الليبرالية في التغيرات الاجتماعية التي عصفت بأوربا منذ بداية القرن السادس عشر ميلادي ، وطبيعة التغير الاجتماعي والفكري يأتي بشكل متدرج بطيء .وهي لم " تتبلور كنظرية في السياسة والاقتصاد والاجتماع على يد مفكر واحد بل أسهم عدة مفكرين في إعطائها شكلها الأساسي وطابعها المميز.وقد اختلف الباحثون في تاريخ الليبرالية كمنتظم فكري ، وذلك نابع من تنوع المفهوم وكثرة الاتجاهات الفكرية التي حسبت عليه ، اذ يجري الحديث عن ليبرالية سياسية وأخرى اقتصادية وأخرى اجتماعية إلا انها جميعا تؤكد على حرية الفرد تبعا لتنوعها ، فمن الباحثين من يرجع الليبرالية الى العصور القديمة اليونان وبالتحديد الى فكر السفسطائيين ويسميها الليبرالية القديمة [1]ولاحظ عدد اخر من الكتاب انه وفي بداية القرن الثاني عشر تكونت في ايطاليا انظمة سياسية مبتعدة عن النظام الامبراطوري او الملكي ونظم اقتصادية بعيدة عن الاقطاع ، وتم تقسيم اراضي الدولة الايطالية بين المدن وبات الاعتراف بسلطة المدينة امر واقع لا يستطيع احد مهما كانت منزلته من الاعتراض عليه ، والملفت للنظر ان هذه المدن اعتمدت شكلا جديدا للحكم فحولت نفسها الى جمهوريات مستقلة وقد كانت تواقة للحرية ، اذ اصبحت كل جمهورية تحكم بواسطة ما عرف بـ (القناصل) يتغيرون كل عام بهدف تأمين شهوة السلطة المنضبطة وصيانة حرية الشعب ، وخلال النصف الثاني من القرن حدث تحول كبير في شكل الحكم اذ ابطل العمل بنظام القناصل وأوكلت ادارة المدينة او الجمهورية الى ما عرف بـ (البودستا) وهو موظف من مدينة اخرى لضمان حياديته في امر الرعايا ، وكان يتمتع بسلطات شاملة وكانت سلطته محددة زمنيا بستة اشهر يظل مسؤولا امام المواطنين وليس ملزم بإصدار قرارات سياسية بل انه ملزم في نهاية ولايته للخضوع الى"تدقيق لأحكامه وإعماله قبل ان يجوز له الرحيل من المدينة "[2] "وقد تم تبني ذات النظام في كل الجمهوريات الايطالية ، من اجل تكريس مبدأ الحرية الذي لم يكن بمستوى من الوعي المدني غير ان مروجي فكرة (الحرية الفردية) كانت لديهم فكرتان متميزتان واضحتان الاولى تمثلت في حقهم في ان يكونوا احرارا متحررين من اي " [3] سيطرة خارجية على حياتهم السياسية وهذا تأكيد على سيادتهم ,اما الثانية تمثلت في حقهم بحكم انفسهم كما يرون ذلك مناسبا وهذا دفاع عن دساتير جمهورياتهم القائمة " [4]

[1] مها عيسى فتاح،نقد افلاطون للسفسطائية ،مجلة الآداب ،جامعة البصرة ،العدد 41 سنة 2006 ص 224 -228

[2] كوينتين سكنر ،الفكر السياسي الحديث ،المنظمة العربية للترجمة بيروت ج 1 تر ,حيدر حاج اسماعيل. 2012 ص 40

[3] المرجع نفسه،ص 45

[4] المرجع,نفسه,ص 47

إلا ان ما يعنينا هنا هو الليبرالية المحدثة التي تميزت عن جميع اشكال الليبرالية سواء قديمها ام ليبرالية ايطاليا من خلال تركيزها على الفرد وعلى الحياة السياسية ،فذهبت الى ان السياسة صنعة ابتدعها الفرد وان الحكومات ليست امرا طبيعيا وان كانت ضرورية ،لان الطبيعة هي حرية الانسان التي توصف بأنها ليست مكتسبة وليست منحة من احد وان البشر متساوون جميعا.

وكان لظهور المدارس الفكرية الاقتصادية دور في تعزيز الليبرالية وظهورها كنظام وهي كالتالي:

***المدرسة الميركنتالية:**"التي بدأت مع بدايات عصر النهضة في القرن السابع عشر ،وتعتمد هذه المدرسة على ان اساس الاقتصاد هو الثروة المعدنية من معادن نفيسة وان مكانة الفرد لا تنبع من خلال الطبقة التي ينتمي اليها بقدر ما يمتلك من اموال ،اذ على الدولة ان تؤمن كل ما يحتاجه الفرد لتسهيل حصوله على المعادن "[1]

***المدرسة الفيزيوقراطية** :"نشأة في فرنسا ،في القرن الثامن عشر ،وعرفت بالمدرسة الطبيعية ،وأطلق على مؤيديها الطبيعيون ،لاعتقادهم بسيادة قوانين الطبيعة وان النظام يستمد قواعده من العناية الالهية التي ليست من صنع البشر وان هذه القوانين او القواعد يمكنها ان تسري من تلقاء نفسها دون تدخل من البشر ،وان الاساس لهذا النظام هو الملكية الفردية والحرية الاقتصادية وشعار الفيزيوقراط (دعه يعمل دعه يمر)وكان من آرائهم ان تكون السلطة مطلقة للملك تكون مهمته توجيه الافراد "[2]

***المدرسة الكلاسيكية** :"انبثقت هذه المدرسة على الاساس الذي وضعه الفيزيوقراطيين وتطورت في انكلترا نتيجة للتوسع الاقتصادي الذي شهده القرن الثامن عشر ،وجاءت ردا على المدرسة الميركنتالية بعد ان تطورت الرأسمالية التجارية الى رأسمالية صناعية "[3]

***المدرسة الكينزية** :"ارتبطت باسم مؤسسها كينز 1883-1946 وكتابه الشهير (النظرية العامة في التوظيف والفائدة والنقود)الذي يؤكد فيه على ان النظام الاقتصادي يكون دائما عند مستوى التوظيف الكامل وذلك من خلال آليات ألسوق وحرية السعر التي من ضمنها الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة "[4]

---

[1] عمرو هشام مُحَّد ،مدخل في مدارس الفكر ألاقتصادي , دار طلاس ،دمشق 2009 ص 65-74

[2] المرجع نفسه ،ص 75-84

[3] طلال حامد . المرتكزات الفكرية لليبرالية ص 158

[4] عمرو هشام مُحَّد ،مدخل في مدارس الفكر الاقتصادي ،ص 112.111

فضلا عن الدور الذي قدمته هذه المدارس في تطور الليبرالية كان الاسهام الفكري لجون لوك عامل مهم في صياغة الكثير من المنطلقات للمنتظم الفكري وهذا من خلال كتابه (في الحكم المدني)على تحديد المثل السياسية التي عرفت في غرب اوربا باسم الفلسفة الليبرالية وهي المثل التي نادت بضرورة حماية الحريات (حرية الفكر ،والدين والاجتماع والرقابة على السلطة وحق الملكية وغيرها)اذ يؤكد لوك لما كان البشر احرارا ومتساوين ومستقلين بالطبع ،استحال "تحويل اي انسان عن هذا الوضع وإكراهه للخضوع لسلطة انسان اخر دون موافقته "[1]ويرسم لوك حدود السلطة بحيث لا تتعدى على حريات الاشخاص وممتلكاتهم ."اذ لايحق للسلطة العليا ان تنتزع شيئا من املاك احد دون موافقته لذا تحتم ضرورة ان يكون لأفراد الشعب حق الملكية "[2]

[1] جون لوك ,في الحكم المدني ,ترجمة ماجد فخري أللجنة الدولية لترجمة الروائع ,بيروت 1959ص 165

[2] المصدر نفسه،ص 222

المبحث الثاني مراحل الليبرالية وأسسها

مراحل الفكر الليبرالي :وإذا تتبعنا مراحل الليبرالية التي مرت بها نجد أنها على النحو التالي:

1–مرحلة التكوين:"فالفرد حر في أفعاله ومستقل في تصرفاته دون أي تدخل سواء من الدولة او اي مؤسسة أخرى هذه الحرية اعتنى بها الفكر الليبرالي باعتبارها موضوعا سياسيا يتعلق بالعلاقة بين الفرد والدولة وعلاقة الفرد حيث كانت وجها من أوجه الفلسفة الغربية المركزة على مفهوم الفرد ومفهوم الذات اللذي يميز الفلسفة الغربية جميعها إذ ينطلق التحليل الفلسفي من الإنسان باعتباره الكائن الفاعل صاحب الاختيار والمبادرة " [1] هذا هو اصل الانسية الغربية كما عبرت عن ذاتها في ميادين الفن والدب والعلم والسياسة وهو منطلق الفلسفة اليونانية السقراطية المخالف لمنطلق الفلسفة اليونانية السابقة لسقراط ومنطلق فلسفة القرون الوسطى الاوروبية ومنطلق الفلسفات الشرقية حيث ينظر للإنسان كمخلوق بين المخلوقات ويضاف الفعل الى الخالق المبدع

2–مرحلة الاكتمال:"حيث كانت هذه المرحلة الأساس اللذي شيد عليه علمان عصريان مهمان هما علم الاقتصاد وعلم السياسة النظري إذ أن المفهوم الأساسي في هذه المرحلة هو مفهوم الفرد العاقل المالك لحياته وبدنه وذهنه وعمله " [2]على اساسه شيد تاريخ معقول يخالف التاريخ الفعلي اللذي لم يكن سوى سلسلة من الصبيانيات والحماقات حسب تعبير فولتير حيث شيد علم السياسة العقلي المبني على التعاقد بين افراد عقلاء مستقلين ومتساويين والمخالف لسياسة الاستبداد

3–مرحلة الاستقلال:"في هذه المرحلة نزعت الليبرالية من أصولها كل فكرة تنتمي إلى الاتجاه الديمقراطي بعد أن اظهرت الثورة الفرنسية أن بعض أصول الليبرالية قد تنقلب عند التطبيق إلى عناصر معادية لها نعني هنا مفهوم المبادرة الخلاقة حيث أن الفرد الخلاق هو نتيجة التطور الطويل " [3]حيث يجب المحافظة عليها لأنها كانت سبب تفوق اوروبا على باقي العالم إن الدولة الحديثة كما استوحتها الثورة الفرنسية من تحليلات مفكري القرن الثامن عشر قد نفت حقوق الفرد المالك الخلاق باسم حقوق مجردة اسندت للفرد العاقل هذا الفرد العاقل لا وجود له في الواقع التاريخي في حين ان الفرد الخلاق هو نتيجة التطور الطويل لابد في رأي هذه المرحلة (مرحلة الاستقلال) من المحافظة الحقوق الموروثة ومن الاعتماد على التطور البطيء دون اللجوء الى الطفرة اللتي تقطع حبل الاستمرار التاريخي

---

[1] عبدا لله العروي ، مفهوم ألحرية الطبعة الخامسة المركز الثقافي العربي،بيروت 1993 ص 37

[2] المرجع نفسه ص 39

[3] المرجع نفسه ص 41

إن الفرد الواقعي هو اللذي يجب ان يكون هدف السياسة لا الفرد الخيالي اللذي قد يتحقق في المستقبل بعيد بعد تدخل الدولة واستعمال العنف

4 مرحلة التقوقع :"أصبحت الليبرالية محاطة بالخطر وان تحقيقها صعب أن لم يكن مستحيلا لما تستلزم من مسبقات غير متوفرة لدى البشر في غالب الأحيان بحيث يرتكز هنا المفهوم الأساسي لهذه المرحلة على مفهوم المغايرة والاعتراض بحيث أصبح الفرد يفضل الرضوخ إلى رأي الأغلبية وهذا يؤدي إلى ذهول فكري وتعثر المجتمع ككل "[1]

2 أسس الليبرالية

تقوم الليبرالية على اسس فكرية هي القدر المشترك بين سائر اتجاهاتها وتياراتها ولا يمكن عد اي فرد ليبراليا لا يقر بهذه الاسس ولا يعترف بها لأنها الاجزاء المكونة للفكر الليبرالي والمميزة له عن غيره واهم الاسس هي(الحرية والفردية والعقلانية)

***الحرية** :"جاء في اعلان حقوق الانسان والمواطن الفرنسي عام تعريف الحرية بأنها (حق الفرد بان يفعل كل مالا يضر بالآخرين ولا يمكن اخضاع الحقوق الطبيعية لقيود إلا من اجل تمكين اعضاء الجماعة الاخرين من التمتع بحقوقهم) " [2] "وهذه القيود لا يجوز فرضها إلا بقانون بالآخرين والحرية بهذا الاعتبار ذات طابع واقعي عملي ،وعليه تعد الحرية اولى أسس الليبرالية إلا ان الحرية المقصودة هنا هي الحرية مقيدة بقانون الذي يوصف بأنه ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري شريطة ان تكون هذه القوانين لا تمثل استبدادا مفروضا من خارج الفرد تقيد حريته .التي تتمثل في حقوقه وحرياته المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها "[3] فالليبراليون يتفقون بالإجماع على الحرية حيث يمنحون الفرد الحق في حرية التعبير والتفكير وغيرها وتمتع بكامل حقوق الحياة لتصبح بذالك اولى ركائز الليبرالية.

[1] عبد الله العروي ,مفهوم الحرية ,ص 52

[2] محمد كامل ،النظم السياسية ،الدول والحكومات ،دار النهضة العربية ،بيروت , 1969 ,ص 17

[3] سليمان بن صالح الخراشي ،حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها ص13

*__الفردية__:"فالفردية هي السمة الأساسية الأولى لعصر النهضة ،فها هو عصر النهضة يأتي كرد فعل لفكر القرون الوسطى ويتحرر الفرد من سيطرة الكنيسة ،وقد ارتبطت الفردية بالحرية ارتباطا وثيقا فأصبحت الفردية تعني استقلال الفرد وحريته ،وقد جاءت الفردية بمعنيين الأول تعني الأنانية وحب الذات وهذا المعنى هو الذي غلب على الفكر الغربية والثاني تعني فيه الفردية استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس وهذا هو الاتجاه،حيث يعيد الليبراليون للفرد فرديته التي كانت مسلوبة " [1]
وهو مفهوم حديث للفردية من خلال سيطرت الكنيسة ورجال الدين على كل مجالات الحياة حيث كان الفرد مجرد تابع لكل اوامر ونواهي رجال الدين والكنيسة وعليه تعيد الفردية للفرد فاعليته وحريته في. التمتع وتمنحه حب استقلالية من أي سلطة ومن أي موروث قديم،إلا أن هذه الفردية تجعل الفرد ينغمس في الذات والأنانية وتجعله يبحث عن المادة وبحث تحقيق مصالحه الخاصة.

*__العقلانية__ :"وتعني استقلال العقل البشري بادراك المصالح والمنافع دون الحاجة الى قوى خارجية وقد تم استقلاله نتيجة تحرره من السلطة الدينية اللاهوتية ،وعليه تعني العقلانية الاعتماد على العقل وتحييد الدين جاء بصورة متدرجة ولكنه استحكم في عصر التنوير وزاد ترسيخه كمصدر وحيد للمعرفة ويتضح مرتكز العقلانية في الفكر الليبرالي من خلال الاتي:

-أ-ما دامت الحقوق التي يسعى الفرد لتأكيدها لذاته هي بالأساس حقوقا طبيعية ،فان طريقة معرفتها هو العقل وأدواته كالحس والتجربة.

-ب-ان العقل في الفكر الليبرالي هو عقل مادي لا يؤمن إلا بالمحسوسات ،لذا فان كل شيء مبني بناءا غير علمي لا يصح جعله مصدرا للمعرفة .ان القانون الذي يضبط الحرية من الانفلات عند كل الاتجاهات الليبرالية هو قانون وضعي يعتمد العقل المجرد في التشريع فالمصدر الوثيق في القانون وفي المجال الخاص بالفرد هو العقلانية " [2]

الفصل الاول :الليبرالية بين النشأة والأساس والمجال

[1] سليمان بن صالح الخراشي ،حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها ,ص22

[2] طلال حامد خليل المرتكزات الفكرية لليبرالية ,ص 160

المبحث الثالث :السيرة الذاتية كمرجعية فكرية لجون لوك

1 السيرة ألذاتية : تبنى جون لوك نظرة خاصة في السياسة .وكان بهذا يناقض مبدأ الملكية الذاتي والحق حسبه نتيجة طبيعية في التملك والتي بدورها تقوم على ادعائه المعروف بأن الفرد يكسب الملكية على الموارد عندما يمزج عمله مع الحكومة واعتبر وانه ينبغي ان يقتصر هذا التملك على تامين الحياة والمواطنين اضافة الى هذا نال جون لوك شهرة واسعة بسبب كتاباته على التسامح وتبنيه مفهوم الحق في حرية الضمير والدين واعتمد في فهمه للفلسفة السياسية على مبادئ اللتي تبناها الحزب اليميني البريطاني ومبادئه لعصر التنوير وتطوير فصل الدولة والكنيسة في الدستور الامريكي كما تعد مؤلفاته في المجال السياسي من اعظم ما اثر في العقل البشري وتجسدت من خلال **مقالة عن الفهم الإنساني** فقدم السياسة في رسالتين عن الحكومة1690 وكذالك الخطاب الرابع عن التسامح اللذي نشر بعد وفاته وكتابه السياسي عن الدساتير الاساسية كارولينا اللذي كتبه سنة 1963 اللذي لم ينشر إلا عام 1706 فهاجم كل المعتقدات والتقاليد الساذجة ودعى الى تحرر العقل وعليه فإن ان جانب السيرة الذاتية لهذا الفيلسوف يتضمن عدة جوانب شخصية ذاتية فكرية وحتى معرفية يمكن تتبعها وفق مراحل التالية

ا–حياته ودراسته العلمية :نريد من خلال هذا العنصر تبيين حياة لوك الدراسية والعلمية لما لها من اهمية في تاريخ فكره السياسي والفلسفي ذالك ان حياته العلمية كانت خصبة فيها الكثير من النشاط والتغيير لم يكتفي بدراسة الفلسفة ولا بمزاوله العلم فقط بل تعدى ذالك الى ميادين السياسة والاقتصاد وحتى التربية جهود واضحة تبلورت في شكل مؤلفات قيمة تشرح رأيه وتعبر عن وجهة نظره الاصلاحية "لقد عاش جون لوك ما بين (1632–1704) وتعد هذه الفترة اكثر العصور اضطراب في المجال السياسي ولم يكن هذا الاضطراب موجود في انجلترا فقط بل مس جميع انحاء اوروبا وتعد هذه الظروف اللتي بنى عليها لوك افكاره وكانت الانطلاقة اللتي لمعت نجمه اللحظة اللتي نشر فيها مؤلفه الصادر سنة 1689 تحت عنوان(مقال في الفهم البشري) وقد استطالت هذه الشهرة الى يومنا هذا ولقد شارك جون لوك في الاحداث والاضطرابات السياسية السائدة في عصره وتمثلت هذه المشاركة في ابداء افكاره "[1]

[1] عزمي اسلام , جون لوك , الهيمنة المصرية العامة للكتب , القاهرة د/ط 2007 ص 13

السياسية والتي كانت تدعو للحرية و المساواة والتسامح وهذا كله ينعكس في مؤلفاته خاصة السياسية منه ويمكن لنا ان نقسم حياة جون لوك الى قسمين او حقيقتين الاولى سياسية وثانية فلسفية وهذا وفق ما كتبه وما ترك لنا من ارث ارسل الى مدرسة { وستمن ستر } في سنة 1642 واستمر بها حتى التحق بجامعة اكسفورد في سنة 1652 ويمكننا الاشارة هنا الى ان نمط الدراسة كان صارما وكانت مناهجها تقليدية ورجعية وهذا ما دفع لوك الى نقد ذالك النظام السائد وتلك المناهج العقيمة وسعى الى تقديم مناه جديدة للتعليم وهذا مانلمسه في كتابه (بعض الافكار عن التربية) 1693 بعد ذالك واصل دراسته بنفس الجامعة إلا انه خاب ظنه في دراسة الفلسفة اذ وجد خليطا من فلسفة القرون الوسطى والفلسفة الارسطية [1] لكن جون لوك لم يقصر اهتمامه على دراسته الاكاديمية في اكسفورد فقط بل كان له اهتمام وتنوع فكري من نوع الى اخر قد قرأ لديكارت اللذي وجد في كتاباته الواضحة وأفكاره السهلة الدقيقة نوعا من الثورة على تلك الفلسفة المدرسية اللتي لم تكن لي تشبع العقل او ترضيه و اللتي جعلته يؤمن ان الفلسفة يمكن ان تكون شيئا اكثر من مجرد التحدث بالألفاظ الضخمة والبراقة او عبارات صعبة لا يمكن فهمها [2] وهذا ما يدل على اهمية الفلسفة عند جون لوك دورها في الحياة عند جون لوك وأنها اقتراحات وحلول يمكن ان تحل مشاكل الحياة وان تعالج الواقع الفكري والسياسي 0 لقد وصل لوك في احد خطاباته الى استنتاج يصر فيع عن امتنانه لديكارت اللذي حرره من الغموض والالتباس وعلمه كيف يكتب بحثا فلسفيا واضحا يساعده في السير نحو طريق العقل ومع هذا استمرت دراسته في اكسفورد لمدة اربع سنوات حصل بعدها على درجة البكالوريوس (A,B)عام 1656 ثم حصل على درجة الماجستير(MA) في الفلسفة بعدها بعامين ثم عيين عام 1660 محاضرا في الفلسفة اليونانية وفلسفة الاخلاق في مدرسة الكنيسة في اكسفورد مع استمراره لمتابعة دراسته للمنطق والميتافيزيقا متزودا بدراسة التاريخ والفلك والطبيعة وبعض اللغات [3]كل هذه مراحل حياته الدراسية تدل على تنوع مصادر تكوينه وفي هذه الفترة كانت النزعة التجريبية ومن اهم الشخصيات اللتي اثرت في جون

الفصل الاول :الليبرالية بين النشأة والأساس والمجال

[1] عزمي اسلام ,جون لوك ,ص 11

[2] المرجع نفسه ,ص13

[3] جون دن ,جون لوك ,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ,تر فايقة جرسس حنا , بيروت 2012ص 24

لوك ايضا *بويل ,هوك اسحاق نيوتن * فقد تعلم من هؤلاء الرجال قيمة الملاحظة المستمرة والمنضبطة وهذا ماعبر عنه جون لوك{..تنشأ المعرفة الحقيقية في العالم عن طريق التجربة والملاحظة العقلانية في البداية لكن الانسان الطموح اللذي لا يكتفي بالمعرفة اللتي مؤهل لها ,والتي كانت نافعة له سيحتاج الى ان يتغلغل في الاسباب الكامنة وراء الاشياء وان يؤسس المبادئ وان يضع لنفسه المسلمات والثوابت حول عمليات الطبيعة وآلياتها..}[1]

ب–مؤلفاته

***مؤلفاته وأبعادها السياسية** :تعتبر الفترة الممتدة ما بين (1683–1704) فترة الانتاج العلمي عند جون لوك , ورغم رغم تعدد وتنوع هذا الانتاج إلا انه كان له هاجس الحرية والتحرر من الافكار العقيمة والوضع المستبد فتعد كتبه بمثابة ثورة فكرية وسياسية والجميل هنا في كتابات جون لوك ان معظمها كان عبارة عن رسائل لأصدقائه وهذا ما يدل على قيمة الصداقة عن جون لوك كما كانت هذه المؤلفات اما بوحي من مناقشاته مع الاصدقاء او مهداة اليهم فكتابه **مقال في العقل البشري** كان نتيجة لمناقشات بعض الزملاء في احدى الامسيات وخطابه عن التسامح كان مرسلا الى صديقه **ليمبرخ** وكتابه **افكار عن التربية** كان في حقيقته خطابات مرسلة الى صديقه **كلارك** كما يروى ان نقد الكتاب المقدس كان نتيجة لمناقشته المتعددة مع السيد **ماشام** , وبناءا على ذالك يمكن تقسيم مؤلفاته الى مجموعات كل مجموعة تناول احد جوانب فلسفته منها ماهو فلسفي ومنطقي منها ماهو سياسي وعليه كان تقسيم مؤلفاته الى:

***الكتب السياسية** :كان لوك طالبا في كنيسة المسيح أي في حدود سنة 1690 كتب منجزه السياسي **مقالتان في الحكومة المدنية** ويعد ذالك من اهم مؤلفاته بحيث يحدد فيه القواعد الاساسية لتأسيس مجتمع مدني فهو يعد بمثابة ثورة على الاوضاع السياسية اللتي ذكرناها سابقا حيث ينقسم الى قسمين قسم ناقد لأفكار **روبرت فليمر**ا اللذي يرى ان الدولة امتداد للأسرة الحاكمة وقسم يعرض فيه جون لوك الحلول وعن ضرورة قيام عقد يحمي حقوق المواطنين

الفصل الاول :الليبرالية بين النشأة والأساس والمجال

[1] مصطفى حسن النشار ,مدخل الى الفلسفة السياسية والاجتماعية ,المسيرة للطباعة والنشر الاردن د/ط 2012 ص 52

*__الكتب الدينية__ : وهي ايضا تعد ثورة دينية خاصة على افكار الكنيسة اللتي كانت تطردها مناجل ان تبرهن على سلطة الملوك , ومن اجل ان تبرر طغيانهم واستبدادهم وأهمها:

-__رسالة في التسامح 1692__: طبعت في هولندا ثم رجعت في السنة نفسها الى الانجليزية وكانت بمثابة بداية الفلاح الدنيوي

لجون لوك لان نظرته للدين مغايرة لنظرة رجال الكنيسة ,حيث ان الدين حسبه جاء لتنظيم الحيلة استنادا الى الفضيلة والتقوى وليس خدمة لمصالح رجال الكنيسة كذالك كتاب- __معقولية المسيحية 1695__: تناول فيه اشكالية الخطيئة وكيفية الخلاص

*__الكتب التربوية__:نجد في هذا المجال بعض الافكار عن التربية 1693 جاءت على شكل رسائل تربوية يحاول لوك من خلالها اصلاح المنظومة الاجتماعية وذلك من خلال اصلاح التعليم اللذي من المفروض ان لا يكون تابعا لأي سلطة (لاالدولة ولا الكنيسة) وذالك من اجل حرية الفرد وحرية التفكير وكل هذا يتحقق بالتربية ألصحيحة

__2 مرحلة الادراك للأوضاع والاهتمام بالسياسة__ :رغم اهتمام جون لوك بالجانب العلمي والدراسي إلا انه لم يتوقف عند هذا الحد فقد حول اهتمامه بالسياسة والممارسة السياسية فتاريخ الفكر السياسي قديم قدم التاريخ العام فهو تاريخ غني بمضمونه الفكري وزاخر في نفس الوقت بنتائج مباشرة وغير مباشرة على السلوك الانساني[1] ان صح القول فنقطة البداية كانت حين ارسل سكرتيرا برئاسة __سير ولترفين__ عام 1665 الى الحاكم __برند نيرج__ يعرضون معهم التحالف او الوقوف على حياد في حرب هولندا فابتدأ وعيه ينفتح على افكار جديدة لم تكن له بها خبرة من قبل فبداية اهتمام بالسياسة كانت من هذه النقطة اضافة الى اهم نقطة في حياته هو تعرفه __باللورد اشلي__ اللذي عرف بعد ذالك باسم __لورد شافت سبري__ الشخصية السياسية الاكثر نفوذا في بلاط الملك __شارل الثاني__ خلال الحقبة الممتدة (166701683) فمنها استلهم جون لوك فهم وفن الحكم وإدارة شؤون الدولة كان من اكثر الاشخاص تأثيرا في الحياة السياسية في انكلترا اثناء حكم شارل الثاني

[1] مصطفى حسن النشار ,مدخل الى الفلسفة السياسية والاجتماعية ,المسيرة للطباعة والنشر الاردن د/ط 2012 ص 19

وذالك لكراهيته العميقة للحكم الاستبدادي بكل انواعه سياسيا كان ام ادينيا وقد انتقلت كراهيته تلك بدورها الى صديقه لوك اللذي اصبح بمثابة المدافع عن الحريات في المجتمع الانجليزي كما كانت له علاقات ونفوذ مع نساء ورجال ذوي نفوذ او ثروة هائلة ولهم ذكاء بارز في مجال السياسة ,امثال **بيميروك وسومز**[1] ... وكل هذه العلاقات جعلت من فيلسوفنا رجلا مختلفا على امتداد عقدين ونصف من الزمن وجعلته رجل عصره وكما قلنا سابقا كان جون لوك مناصرا ومدافعا عن الحريات ولكن هذا الامر كان صعبا في تلك الفترة لأنه لم يكن امرا هينا في تلك الفترة اذ كانت الحرية تفسر إلا بمعنى الاباحية في السياسة والدين وكان حتما على اشياعها ان يلاقوا احد الاثنين كلاهما مر فإما النفي او التشريد وإما القتل [2]

من خلال هذا لم يبقى لجون لوك سوى الفرار الى هولندا بسبب مبادئه ومناداته للحرية , وكل هذه الاحداث لها الاثر البالغ في ذهنه .واعبر هذه الاحداث بمثابة ثورة عقلية تثور على الافكار السابقة والمظلمة , وثورة سياسية تثور على الطغيان والاستبداد الناتج عن سوء الممارسة السياسية من قبل الحاكم باسم نظرية الحكم الالهي المقدس المفوض من قبل اباء الكنيسة ,لكن الاوضاع لم تبقى على حالها ففي تلك الفترة ظهرت بوادر الثورة ضد الملك **جيمس الثاني** آخر ملوك السنوات الاستبدادية الذي كان مكروها من الشعب لإعلان مذهبه الكاثوليكي صراحة ولتمسكه بنظرية حق الملوك المقدس في الحكم وعلى هذا تطلب الوضع في انكلترا وضع نظرية سياسية وحلول واقعية لإزالة هذا الصراع اللذي كان قائما بين اصار الحكم المطلق المؤيدين للملك وبين اعضاء البرلمان اللذين يحاولون تقييد سلطة الملك إلا ان صدر القرار بحل البرلمان فكانت ثورة البرلمان ضد الطغيان الملكي وانتهت بإعدام الملك وهكذا نجحت الثورة وأصبحت هذه الحرب الطاحنة موضوع تحليل من طرف الفلاسفة حيث انتهى **توماس هوبز** الى ضرورة وجود سلطة قوية في المجتمع لتمنع الفوضى ونادى جون لوك بتدعيم السلطة الشعبية وحق المواطنين في الثورة[3]

---

[1] عزمي اسلام ,جون لوك , ص 15

[2] جان توشار , تاريخ الفكر السياسي ,ترجمة علي مقلد ,الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ,ط2, بيروت ,1983, ص 113

[3] فاروق عبد المعطي ,جون لوك من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث , دار الكتب العلمية , ط1 بيروت , لبنان 1993,ص 11

ومن خلال ما سبق يمكننا القول ان تلك حياة فيلسوفنا السياسي الثائر اللذي عمل طيلة حياته مدافعا عن مبادئه وآرائه اللتي تنادي بالنزعة الانسانية ,عن طريق الحريات والمساواة والاحترام والتسامح والبحث عن قوانين تخدم الانسان الحر والحاكم اللذي يحكم بعدل وإحسان ,وكخلاصة عامة يمكن حصر مرجعية جون لوك وفق نمطين اساسيين هما مرجعية سياسية وأخرى فلسفية **–المرجعية السياسية:**

* **تأثره باللورد شافت سبري:**"اللذي يعتبر شخصية بارزة في مجتمعه ذا مواهب متعددة فقد اعجب به لوك كثيرا حين سقط هذا الاخير سنة 1693 هرب لوك معه الى هولندا وبقي معه حتى الثورة وبعد الثورة كرس حياته للعمل الادبي وللمجالات عديدة اثارتها كتبه باستثناء سنوات قليلة عمل في اثنائها في غرفة التجارة وسنوات قبل الثورة هكذا وجد لوك نفسه مركزا للأحداث بسبب علاقته **باللورد** الشخصية السياسية الرائدة في انكلترا اللذي شجعه بأن يتجه بأفكاره الى منحى اخر وهيأه لدراسة المسائل الدينية والمدنية اللتي تهم البلاد , فقد كان **اللورد** وراء الاثر البالغ على نجاحه وتطوير فكره السياسي وإطلاعه على خفايا السياسة حتى اصبح يقال عنه لوك هو اكثر الفلاسفة حظا فقد اكمل عمله في الفلسفة النظرية واهو اشد رجال السياسية والفلسفة نفوذا "[1]

***تأثره بتوماس هوبز** :كما نجد شخصية اخرى في المرجعية السياسية لجون لوك كان لها الاثر وهو **توماس هوبز** ونجد ذلك في التقائه معه على الارضية العامة لنظرية العقد الاجتماعي حيث يتفقان في فكرة العقد وضرورة وضع الية بين الحاكم المحكومين تحمي حقوق الافراد وحرياتهم إلا ان الاختلاف نلمسه في الحالة الطبيعية الاولى للإنسان حيث يرها **هوبز** بأنها وحشية وان الانسان ذئب لأخيه بينها لوك يقول انها خيرة, كذالك نمط الحكم اللذي نوعا ما مطلق عند **هوبز** والعكس من ذالك عند جون لوك

المرجعية الفلسفية : تأثر جون لوك في البداية بأب الفلسفة الحديثة **ديكارت** وبعد ذالك برواد المدرسة التجريبية وعلى رأسهم **روبرت بويل**

---

[1] سمير خليل وآخرون , التسامح بين الشرق والغرب , ترجمة إبراهيم العريس دار السياقي ,ط1 سوريا 1992 ص 15

***تأثره بالمدرسة العقلية** : "**ديكارت (1596–1650)** حيث بدأ لوك بدراسة ديكارت بعد تخرجه ولم يستغرق الامر فترة طويلة لكي يبين ان الفلسفة الجديدة اللتي كان يشتهر بها ديكارت كانت اكثر اهمية واشد واقعية من التمارين القاحلة والجافة اللتي كان يدرسها في اكسفورد اذ يعترف في اول خطابه له الى **ستنلج فيلت** في قوله الفكر المهذب يقصد به ديكارت ابو الفلسفة الحديثة اللذي كان اول من حرره من طريقة الحديث الغامض " [1] وعليه يعتر ديكارت اول من علم لوك كيف يكتب بحثا فلسفيا واضحا وحرره من التشاؤم وجعله يشعر بإمكانية السير في طريق العقل بعد ان ترك تعليمه في اكسفورد"

***تأثره بالمدرسة التجريبية : روبرت بويل(169101627)** وربما كان الشخصية اكثر اهمية في تأثيرها على جون لوك من منظور تجريبي , "هو عالم كيمياء انجليزي اشتهر بتجاربه الرائدة في خصائص الغازات كان بويل اللذي يكبر لوك بخمسة سنوات مرموقا و اذ كان بويل عضو في ما يسمى بالكلية المستورة نفسها التي تُعقد اجتماعاتها في لندن وكرست نفسها للفلسفة الجديدة وهي تعني اساسا بالفلسفة الطبيعية الجديدة اللتي تؤكد اهمية الملاحظة اذ ان الفرصة قد واتته للاستفادة من البحوث الطبية والكيميائية عند بويل ,فقد تعلم منه الصبر والعمل الجاد وتحمل المشاق في محاولة الانسان لإدراك الظواهر الطبيعية " [2] كما علاقة لوك **ببويل** في المانيا جعلته يتأثر بمدى حرية العباد عندهم وتميزها بالتسامح الديني وذالك من خلال اطلاعه على لوثر والكاثوليك لعبادتهم بكل حرية واحتمالهم ببعضهم البض حيث يقول جون لوك {..كل واحد منهم يسمح لآخر في هدوء ان يختار طريقه الى السماء ولم ألاحظ أي نزاع او عداوة بينهم في امور الدين ..} [3]

---

1 امام عبد الفتاح إمام ,الاخلاق السياسية دراسة في فلسفة الحكم ,المجلس الاعلى للثقافة , دمشق 2001, ص 32

2 المرجع,نفسه 39

3 جون لوك , رسالة في التسامح , ترجمة عبد الرحمن بدوي , دار الغرب الاسلامي , ط1 بيروت , 1988 ص 44

الفصل الثاني :الابعاد السياسية في فلسفة جون لوك

المبحث الاول :الخلفية الفلسفية لمقالتين في الحكومة

1:التمرد على مطلقية الحكم

2:السلطة الابوية والوراثية بين فيلمر ولوك

المبحث الثاني :الانتقال من الحالة الطبيعية الى الحالة الاجتماعية

1:خصائص الحالة الطبيعية

2:الانتقال الى النمط الاجتماعي

المبحث الثالث : نظرية العقد كممارسة فعلية في الحكومة

1:في معنى وتاريخية العقد الاجتماعي

2:العقد الاجتماعي حسب جون لوك

المبحث الاول : الخلفية الفلسفية لمقالتين في الحكومة المدنية

"اختلف الباحثون حول سنة تأليف جون لوك (رسالتين في الحكومة المدنية) ومقدار ما كتبه من هذا العمل في الفترة الاولى او ما اعاد كتابته قبل نشره بفترة قليلة سنة 1689 , إلا ان الاغلبية من دارسين اتفقوا على نقطتين اولهما : ان لوك كتب الاغلبية العظمى من النص اللذي نشره عام 1689 تزامنا مع رحليه من البلاد الى هولندا اما النقطة الثانية انه كتب فقرات مختلفة من الكتاب بالصيغة اللتي عرف عليها سنة 1683 ما يعكس في هذا الكتاب اثر اراء **حزب شافت سبري** على مدار الصراع مع السلطة " [1] وقد صيغت رسالتان في الحكومة للتأكيد على الحق في مقاومة السلطة الجائرة ومركزا على مفهوم الثورة كمرجع اخير ضد السلطة المستبدة ,والى جانبها موضوعات اخرى تطرق لها **جون لوك** في رسالتيه من قبيل نظرية التوافق بين الحكومات والرعايا , ونظرية الثقة المسطرة في طريق تفسير الرعية والحكام بعضهم ببعض ومشيرا الى مفهوم نظرية الملكية اللتي تحدد نطاق الحرية الاقتصادية للبشر ومدى احقيتهم المباشرة فيها وأوجه التشابه والاختلاف بين انواع المختلفة للسلطة البشرية ليحدد في الاخير بين السلطة الاسرية وسلطة الدولة. فباشر جون لوك تناول هذه القضايا في سياق السياسة الانجليزية اثناء تلك الفترة خاصة المبدأ الدستوري الانجليزي فقدم جون لوك مجموعة من الحجج والبراهين في كتابه **مقالتان في الحكومة** يظهر فيها افكار جديدة لم يدلى بها من قبل , فكان قد غير صراحة احد الافكار التي كان قد دافع عنها بشكل مستفيض حيث اكد في كل من ***الرسالتين ومقال في التسامح*** *

"ان واجب الرعية في مواجهة اوامر الحاكم الجائرة , هو الطاعة العمياء له , ولا يقصد بها الاقرار بعدالة اوامره , وعدم مجابهتها بالقوة حتى تحفظ الامن والاستقرار للدولة ثم يعود فيقرر ضرورة طاعة الحاكم في اوامره دون تردد مبررا ذالك بما يفرضه القانون الإلهي اللذي ينهي عن مخالفة الحكومات او حلها وعلى كل انسان ان يطيع الحكومة اللتي يعيش فيها من اجل حياة بشرية صالحة" [2]

1 التمرد على مطلقية الحكم

ويرجع سبب تغير جون لوك لرأيه الى مشاركته الفعالة في الحراك السياسي خلال سنوات تأليف هذا الكتاب حيث عرف تحول فكري وسياسي خلال تلك المرحلة مطالبا بسلطة واضحة مقيدة برضا

[1] ابراهيم دسوقي اباضة , عبد العزيز غنام , تاريخ الفكر السياسي , دار النجاح ,بيروت ,د.ط , 1973 ص 192

[2] المرجع نفسه ,ص 212

الشعب والحقوق الطبيعية وجاعلا حق صون المجتمع والحفاظ عليه واجبا فعليا فلاشك ان الممارسة السياسية عند جون لوك " لعبت دورا في تغيير رأيه خاصة تجربة ازمة الاقصاء السياسي فقد كانت من اهم العوامل اللتي دفعت به في اعادة النظر في الممارسة السياسية ما اتاح له فرصة الكتابة عن النظرية السياسية (رسالتان في الحكم المدني) ,ولا نستبعد دور شافت سبري في تحريك المسألة السياسية عند لوك جعلته واقفا في وجه السلطة الحاكمة خولت لنفسها حق التصرف بحرية في العمل السياسي دون وازع او رادع ومن مضمون الكتاب كان لوك يعرف ان تغيير رأيه سيجلب له المتاعب السياسية نظرا لقوة السلطة الحاكمة وتجبرها على جميع الميادين المجتمع" [1], فجون لوك لما كتب رسالتان في الحكومة الف الرسالة الاولى نقد فيها الكاتب السياسي السابق عليه **السير روبر فيلمر** من مقاطعة **كنت** فقد كان مؤيدا للحكم الملكي آن ذاك اشتهر بقدرته النقدية وسط النقاد حيث تميز عن غيره من النقاد بتأييده البليغ للسلطة الحاكمة جامعا بين السياسة والتدين في الدفاع عن الملكية , فوجهة النظر التي صاغتها **رسالتان في الحكومة** كانت تنادي بالمساواة والدعوة اللى المسؤولية السياسية داحضا بذالك لوك اراء **فيلمر** ونقض افكاره

2 السلطة الابوية وسلطة الوراثة بين فيلمر ولوك :

***نقد السلطة الابوية** : ومن رأي بعض معاصري فيلمر ان ارائه كانت بسيطة , بل بدت لهم اكثر من مجرد آراء غريبة لا تحمل جوهرا منطقيا. يخول لها القبول عند الشعب لولا سلطة الحاكم الطاغية , ونظريته جاءت كقاعدة اساسية لبناء صرح الحكم المطلق وهذا يتضح في موقفه الرسمي " بأن البشر ليسوا احرار بالطبع " ولقد استند فيلمر على تلك القاعدة لأن الحرية بمثابة السلاح الاساسي ضد الدكتاتورية والحكم المطلق فان قيدت الحرية انعدم الفكر وان انعدم الفكر اصبحت الرعية مجرد قطيع .

كذالك رأى انه لابد لكل انسان ان يخضع لسلطة انسان اخر جاعلا من ذالك مشيئة من الله وان حقوق الحاكم مستمدة من مشيئة الله , وهذا ماتتبناه النصوص الدينية المسيحية القديمة أي عندما انزل الله آدم الى الارض اكسبه حق الملكية في الارض فقدم له التصرف كما يريد واكسبه كافة السلطات على البشر وبتالي تعد سلطة الحاكم نتيجة تاريخية وشرعية حسب **فيلمر** ويضرب لنا مثال اخر ليعزز نظريته فيقول "يولد البشر في ضل سلطة ابويهم فهم اذن ليسو احرار "[2]حيث اسقط الناحية الابوية على

---

[1] يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الحديثة , دار المعارف , مصر , د ط , 2001 , ص 35

[2] جون لوك , مقال في الحكم المدني , ص 8

الناحية السياسية وحاول يبين ان علاقة الملك بالمحكومين كعلاقة الاب بأبنائه وكل هذا من اجل تبرير الطاعة العمياء وردا على ذالك يرى لوك ان " القائلين بأن الاب يفيض الحياة على ابنائه قد تناسو ان الله هو المبدع وواهبا وأننا به نحيا ونتحرك ومنه نستمد الوجود اذن كيف يستطيع من لايفقه حتى سر الحياة هو ان يهب الحياة لسواه " [1] حيث قابل **لوك** حجة **فيلمر** الدينية وذالك من اجل ابطال مايقول إلا ان فيلمر استند الى حجة اخرى فيقول " ان الشريعة اللتي تحث على طاعة الملوك , اكرم اباك كما لو كانت السلطة قائمة كلها في الاب اصلا " وبناءا على ذالك عمل لوك للمرة الثانية على دحض حجة فيلمر حيث اذا كان الكتاب المقدس يقول اكرم اباك فان الشريعة ايضا تقول " اكرم امك , كما لوكانت السلطة كلها قائمة في الام أصلا " وبالتالي فالشريعة لا تقتصر على تكريم الاب فقط كما يدعي **فيلمر** بل كلا الوالدين , ايضا يرى لوك انه لو كان رأي **فيلمر** حقيقة لأصبح عدد ملوك الارض مثل عدد الاباء فسلطة الاب هي سلطة طبيعية اعطيت اليه من اجل مراعاة ابنائه وليس خرق حرياتهم " فهي واجب طبيعي اكثر منها سلطة وهي مؤقتة ولا تشبه سلطة السيد "[2] " والحاكم حسب **لوك** لا يستمد شرعيته لا من حق الهي ولا كنسي بل من عقد اجتماعي قد تم بينه وبين رعيته وهدف الدولة الحياة الارضية وهدف الكنيسة الحياة السماوية نحن اذ نولد ملك الوطن لا ملك الكنيسة "[3]

***نقد مبدأ الوراثة** بعد رفض لوك لحجج فيلمر فيما يخص السلطة الابوية اراد هذا الاخير طرح مخرجا اخر ليبرر به السلطة المطلقة وهو المبدأ الوراثي في الحكم فيرى **فيلمر** ان سلطة آدم لم تنته بموته بل آلت الى امرئ اخر هكذا الى وفاته وهكذا الى احفاده , فينتقده لوك ردا عليه قائلا " ...ابناء ادم لكل منهم حق في وراثة نصيبه , فبوسعهم ان يستثمرو ميراثهم او أي جزء منه بالاشتراك او اقتسامه جملة او تفصيلا كما يشاءون دون ان يكون بوسع اس منهم ان يدعي الحق بالميراث الكامل او بالسلطة اللتي تفترض ان تقترن به , لأن حق الوراثة على الجميع وعلى الكل بمفرده حق المساهمة في ممتلكات ابيهم " [4] فيرى لوك انه لو كانت السلطة بالوراثة لأصبحت مقسمة بين ابناء آدم اذ ليس هناك أي ضرورة

---

[1] المصدر نفسه ,ص 12

[2] المصدر نفسه ,ص 54

[3] يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الحديثة , ص 151

[4] فريال خليفة , المجتمع المدني عند توماس هوبز وجون لوك ,مكتبة مدبولي,القاهرة ,2005 ص 45

عقلانية تبرر حق ابن الحاكم ان يرث اباه فهذه النظرية حسب لوك ليست مبنية على قواعد علمية متينة سليمة ومقنعة.

المبحث الثاني : الانتقال من الحالة الطبيعية الى الحالة الاجتماعية

1 خصائص الحالة الطبيعية : تتميز الحالة الطبيعية اللتي يعيشها الافراد بأنها حالة اجتماعية يسودها الامن و الاستقرار والسلام يتمتعون فيها بحقوقهم في ضل المساواة والحرية مع احترام الحقوق والممتلكات والحريات الاخرين بموجب خضوعهم الى سلطة العقل والسنة الطبيعية ويفسر لوك هذه الخصائص اللتي تتميز بها الحالة الطبيعية الى :

-ا-العبودية والحرية الطبيعية : يقول لوك في بداية كتابه عن الحكم المدني : "إن العبودية وضع شائن من أوضاع الإنسان لايتفق قط مع طبع أمتنا السمح وبسالتها المشهورة ، بحيث يصعب تصور (إنكليزي) ناهيك (بِشهم) إنكليزي ينهض للدفاع عنها "[1] ومن هنا نلاحظ ان لوك يربط مباشرة بين حرية الفرد وعظمة الأمة الانكليزية ، ولهذا فقد انطلق من حالة الطّبيعة ليؤكّد على حريّة الإنسان حيث أن الناس كانوا في حالة الطّبيعة أحرارا متساوين وهم ولدوا أحرارا فكيف يتم استعبادهم في حكم مطلق ؟! ويذكر لوك أن تقارير الرّحالة الّذين اطّلعوا على أحوال الشّعوب البدائيّة أثبتت أن العلاقات الطّبيعية عندهم تقيم مجتمعاً طبيعيّاً تسود فيه المساواة ولا سيادة فيه لشخصٍ على آخر. وحتّى سلطة الأب على ابنه التي اعتمد عليها فليمر انطلاقاً من سلطة آدم على البشر ليبرر نظام الحكم المطلق-حتى هذه السلطة هي سلطة مؤقّتة وأقرب إلى الواجب منها إلى السّلطة ، وهي لا تشبه سلطة السّيد على العبد بل سلطة من شأنها أن تجعل من الابن كائناً حرًّا [2]. وأما الحرية الشخصية فمعناها أن ليس هناك سيادة طبيعية لأحد على آخر. وسلطة الأب أعطيت له لكي يربي الابن ويجعل منه إنساناً أي كائناً حرًا ، فهي واجب طبيعي أكثر منها سلطة وهي مؤقتة ولا تشبه في شيء سلطة السيد على العبد ومن الحرية الطبيعية ينتقل لوك إلى حق الملكية الّذي ينشأ عن تلك الحرية. اذ يقول جون لوك " الوضع الطبيعي اللذي نجد عليه البشر هو وضع من الحرية التامة بالقيام بأعمالهم والتصرف في ممتلكاتهم وأدواتهم كما يرتاوون وهذا ضمن ايطار الطبيعة وحدها

---

[1] جون لوك , مقال في الحكم المدني , ص 7

[2] حمود حمبلي,حقوق الانسان بين النظم الوضعية و الشرعية ,ديوان المطبوعات الجامعية ,بن عكنون , الجزائر , 1995 ص 42

-ب-نوع الملكية حسب لوك :

يقول لوك في مقدمة الفصل الخاص بالملكية في مقالته عن الحكم ألمدني "الأرض وكل ماعليها من المخلوقات الدنيا ملك مشترك بين البشر ،إلا أن لكل امرئ حق امتلاك شخصي وهو حق لا ينازعه فيه منازع ،كذلك نتاج كدحه وعمل يديه يمكن إسنادهما إليه وحده. وكل ما ينتزعه من الحال الّتي أوجدته الطّبيعة وتركته عليها فقد اختلط به جهده وان اضاف إليه شيء من ذاته فهو اذن ملك له "[1] وبهذا الكلام فقد أقر لوك بحق الملكية للإنسان وربطها بمقدار الجهد الّذي يبذله في سبيل الحصول على ما يملك. ومن هنا يرى لوك أن حق الملكية حق طبيعي يقوم على العمل ومقدار العمل ،لا على الحيازة أو القانون الوضعي ،وليس لأحد حق فيما يكسبه المرء بتعبه ومارته ،ولا تصير الحيازة حقّاً إلا إذا استلزمت العمل على أن حق الملكية خاضع لشرطين:

الأول أن المالك لا يدع ملكيته تتلف أو تهلك ،**والثاني** أن يدع للآخرين ما يكفيهم فإن هذا حق لهم.فحرية العمل هي المبدأ الّذي يسوغ الملكية والمبدأ الّذي يحدها ،إذ يجب أن تبقى حرية العمل مكفولة دائماً للجميع.[2]وقد ارتبط مبدأ الملكية بالعمل الزارعي والعمل الصناعي ، ففيما يخص بالإنتاج الزارعي كان من المسلم به عند المدرسة التي ينتمي إليها لوك ان ملكية الفلاح هي أفضل نظام ، فهو ينص على أن للإنسان أن يملك من الأرض بقدر ما يستطيع أن يفلح وليس أكثر من ذلك وفيما يتعلق بالصناعة فالإنتاج الحضري كان بصفة رئيسة إنتاج الحرفيين الّذين كانوا يملكون أدواتهم ويبيعون ما ينتجون[3] .

بعد ان عرض لوك أفكاره في الحرية والملكية وضّح الطّريقة الّتي تنتظم فيها ممارسة الأفراد لحرّيتهم والحصول على حقوقهم في المجتمع من خلال وثيقة أو اتّفاق بين الحكومة والشّعب أطلق عليها اسم الاتّفاق الاجتماعي أو العقد الاجتماعي ان غرض لوك من الدعوة للملكية للتوضيح انه لو لم يكن هناك الظلم لما كان هناك مطلب بالحقوق الفردية مثل حق الحياة والحرية والممتلكات الفردية فالحكومة وجدت لتحقيق العدل وحماية الممتلكات.

---

[1] جون لوك , مقال في الحكم المدني , ص 153

[2] يوسف كرم , تاريخ الفلسفة الحديثة , ص 101

[3] بيرتراند راسل , تاريخ الفلسفة الغربية , ترجمة محمّد فتحي الشنيطي , المكتبة المصرية , القاهرة , 1979 ص 213

–ج –المساواة : يرى جون لوك ان الناس يولدون احرارا وبالتالي فهم متساوون في الحقوق الطبيعية لأنهم من طبيعة واحدة اذ يقول في هذا الصدد "يولد الناس احرار لا افكار في عقولهم ولا فطرة في دمائهم يعمل منهم البعض يتميز عن البعض الاخر ومن ثم فإن المساواة بين البشر مساواة مطلقة مدام ان الطبيعة قد اكدت ان الجنس البشري من معدن واحد ومن اصل مشترك "[1] بالإضافة الى الحرية اذن هناك حالة من المساواة اذ ليس هناك حقيقة اكثر بداهة من ان المخلوقات المنتمية الى النوع والرتبة نفسها المتمتعة كلها بالمنافع نفسها التي تمنحها الطبيعة وباستخدام الملكات نفسها لهذا يجب ان يتساوون مع بعضهم البعض

2:التحول الى النمط الاجتماعي

يشير لوك إلى أن الناس قديماً كانوا يعيشون في حالة الفطرة أحرار متساويين وكان القانون الطبيعي هو الّذي يحكم سلوكهم وينظّم علاقاتهم الطّبيعية ،ومعنى هذا أنّ الإنسان يولد حرا

فكيف يُستعبد وتقيّد حريّته في ظل نظام حكم مطلق؟

انّ أي قيد على حريّة الإنسان لا يمكن أن يتم إلّا بموافقة الإنسان نفسه ،ففي تكوين المجتمعات السّياسيّة ستتحقّق حريّة الأفراد في حدود السّلطة التّشريعية الّتي يقيمها النّاس باختيارهم ,وتجدر الاشارة إلى أن فكرة لوك عن حالة الطّبيعة للإنسان مرتبطة بأصل لاهوتي فقانون الطبيعة لديه يتألّف من أوامر إلهية [2] ,ولا يفرضه مشروع إنساني. وهذه الأوامر الإلهية مرتبطة بالعقل الّذي يفرض على الإنسان طرقاً للتّعامل مع المحيط بكل ما فيه لذا فإنّ أقرب تعريف لحالة الطّبيعة نجده عند لوك هو ما يلي:

"يعيش النّاس معاً وفق العقل ،دون سيّد أعلى على الأرض ،ومع سلطة تقضي بينهم ,هذه على الحقيقة هي حالة الطّبيعة"[3]

وهذا وصف لجماعة متخيّلة من فوضويين فضلاء ،لا يحتاجون إلى شرطة ولا إلى محاكم تطبّق القانون ذلك لأنّهم يطيعون دائماً العقل ،الّذي هو مماثل للقانون الطّبيعي ،الّذي بدوره يتألّف من تلك القوانين الخاصّة بالسّلوك الّذي يسلّم بأنّها من اصل الهي,وفي سياق المقارنة بين الفلاسفة الّذين بحثوا في حالة الطّبيعة عند الإنسان نجد أن لوك بربطه بين الأوامر الإلهية وعقل الإنسان وطبيعته ،قد تميّز عن كل من هوبز و روسو إذ ربط الأول حالة الطّبيعة بالحرب وسعي

---

1 جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 46

2 شاخت ريتشارد , رواد الفلسفة الحديثة , الهيئة المصرية العامة للكتب ,ترجمة احمد محمود مصر 1997,ص 77-78

3 جون لوك ,رسالة في التسامح ,ص 92

الإنسان للبقاء حيث تنشب حرب يخوضها الجميع ضدّ الجميع وتكون منافية لبقاء المجموع والفرد على حدٍّ سواء أي أن الطّبيعة هي غريزة البقاء المسترشدة بالعقل بينما أكد روسو على أنّ حالة الطّبيعة عند الإنسان تقتصر على ما يمتلكه من غرائز مع قدرة على التّطور والرّقي وقد كانت هذه الحالة هي الأرضية الّتي مهدت للتفاوت بين البشر فيما بعد[1] وسنلاحظ كيف أنّ اختلاف لوك عن أقرانه من الفلاسفة في النظرة للحالة الطّبيعة قد أثّر بشكل كامل على رؤيته لطبيعة النّظام السّياسي الحاكم للمجتمع فطالما كان لوك يعتبر الحالة الطبيعية حالة امن واستقرار فما الداعي لمغادرة الانسان لها وتحوله للحالة الاجتماعية؟

يقول جون لوك "ليس من المنطق في شيء ان يكون المرء خصما وحكما في نفس الوقت في القضية الواحدة لأن حب الذات كفيل ان يحمل على ايثار مصالحه ومصالح اصدقائه من هذه الجهة , ومن جهة ثانية فإن الشر الفطري والهوى وروح الثأر لابد ان تدفع البشر الى الاغراق في الاقتصاص من اقرانهم فبقيت الفوضى والتشويش نتيجة حتمية لذالك الوضع "[2] نفهم من هذا ان جون لوك يشير الى روح الانانية الموجودة في الانسان والانتقام ,وهذان العاملان يمكن ان يحولا تلك الحالة الطبيعية الهادئة الى فوضى وتشويش , فلا يمكن للإنسان ان يكون قاضيا وخصما في الوقت نفسه وتعد هذه من الاسباب اللتي تجعلنا نترك الحالة الطبيعية وطالما ان نزعة الانانية موجودة في الفرد وتسيطر عليه فإن ذالك سوف "يولد الطمع والجشع والذي من خلاله يمكن ان يفقد المرء ملكيته , وبالتالي الشعور بعدم الأمن ".وإذا افتقدنا الامان وجب ترك الحالة الطبيعية الهادئة وبالتالي فعيب الحالة الطبيعية هو "انها لم تكن تشتمل على تنظيم سياسي يتمثل في حاكم وهيئة وسلطات تشريعية وتنفيذية وفيدرالية تسهر على حماية الحقوق في الحياة والحرية والملكية "[3] وبناء على هذا نرى ان عيوب الحالة الطبيعية بدأت تظهر بطريقة غير مباشرة وبتالي وجب وضع حل يحافظ على

[1] برهيه اميل ,تاريخ الفلسفة "القرن السابع عشر " ,دار الطليعة للطباعة والنشر ,ترجمة جورج طرابيشي ,بيروت 1993,ص 183

[2] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 115

[3] المصدر نفسه ص 144 -153

سلامة وامن هذا الانسان فسبب الاساسي الذي ادى الى ترك الحالة الطبيعي هوانه يجب وضع قانون يتفق عليه الاغلبية يكون معروفا لدى الجميع يفصل ويحكم على كل الخلافات يقول جون لوك " يعزوهم قانون ثابت معروف متواضع عليه مسلم به ,بناء على موافقة عامة ,كمقياس للحق والباطل ومحك عام للفصل في جميع الخصومات التي تنشأ بينهم "[1] معنى ذالك انه يجب الولوج الى مجتمع منظم سياسيا ,أي تأسيس دولة ناتجة عن عقد اجتماعي هدفها حسب لوك تامين السلم وحماية الملكية لأن هذا العقد يعد نتيجة طبيعية ترتبط بقانون الطبيعة.

[1] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 145

المبحث الثالث :نظرية العقد كممارسة فعلية في الحكم عند جون لوك

1 في معنى وتاريخية العقد الاجتماعي:

ا–معنى نظرية العقد الاجتماعي

ان العقد الاجتماعي او الميثاق الاجتماعي حسب **جون جاك روسو** هو مجموع المواثيق او الموضوعات الاساسية اللتي تتضمنها الحياة في المجتمع على الرغم من كونها لو تعلن وربما لم ترضى ابدا تراضيا شكليا والتي تكمن في المعادلة التالية ,يضع كل منا شخصه وكامل قدرته على اساس الشراكة التي تصرف للقيادة العليا للإرادة العامة ونحن نستقبل لجسم واحد كل عضو بصفته جزء لا يتجزأ من الكل "وعند **روسو** هو عقد بمقتضاه يتنازل كل فرد عن نفسه وعن حقوقه للإرادة الكلية ويصبح كل فرد جزء لا يتجزأ من الكل "[1] وإذا رجعنا إلا فلاسفة العقد الاجتماعي يمكننا ان نحدد مفهوم العقد مثلا عند **توماس هوبز** "على انه تنازل عن حق في الحكم لرجل او مجموعة بشرط ان تتخلى له انت ايضا وبالطريقة نفسها عن حقك في حكم نفسك "[2]فهوبز يرى ان العقد هو تنازل كلي عن الحقوق الطبيعية الى السلطة الحاكمة نفهم من هذا ان هوبز يرفض الفكرة الارسطية القائلة ان الانسان حيوان سياسي رفضا قاطعا ,ويرى ان الفلسفة هي المعرفة الحقيقية للترابط المتبادل بين العلة والمعلول على ان تكون المغلولات تابعة لقدرات الاجسام ,وبذالك تكون الفلسفة بحثا في الاسباب والعلل .

ب–تاريخية العقد الاجتماعي

ان العقد او ما يصطلح عليه بالتعاقد هو تلك الفلسفة الايديولوجية التي تتناول نشوء المجتمعات وتبحث في العلاقات الموجودة بين الدولة والسلطة للشعب او الجماعة ,وجوهر هذه النظرية هو تنازل الافراد عن بعض حقوقهم للحاكم في مقابل تمتعهم مما يوفره المجتمع السياسي لهم من امتيازات كالأمن والطمأنينة والمحافظة على حقوقهم وحرياتهم [3] أي ان الدولة او السلطة ما هي إلا نتاج ذالك الاتفاق المنعقد من طرف الجماعة وغرضه تشكيل الدولة اللتي تترأس حياتهم وتقدم لهم الخدمات.

وهذه السلطة لا تقوم حسب **هوبز** على الحق الإلهي او أي مشروعية دينية بل على التزام التعاقد من الرعايا كأفراد مع بعضهم يتنازلون بمقتضاه لمصلحتهم المشتركة وأمنهم وسلامتهم والتخلص من حالة الحرب والفوضى التي تسود المجتمع البدائي .

---

[1] اندري لالاند ,موسوعة لالاند الفلسفية ,ص 224

[2] مراد وهيبة ,المعجم الفلسفي ,دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع ,القاهرة ,د/ط 2007 ,ص 421

[3] اسماعيل علي سعد ,المذاهب والنظم السياسية ونشأة الدولة ,دار المعرفة الجامعية ,الاسكندرية د/ط 2010 ,ص 147

ان نظرية العقد الاجتماعي ليست واحدة انما هي معطى فلسفي متعدد ,او بلغة اخرى نوجد نظريات في العقد الاجتماعي وكل منها سياقه وأبعاده ,ونظرية العقد عن جون لوك تعد امتصاص وتحويل لنظريات سابقة تمتد من السفسطائيين اللذين رأوا "ان الانسان يصنع القيم بإرادته وان النظام السياسي هو نظام اتفاق الافراد على تكوينه للسهر على مصالحهم فهو بذالك نظام غير طبيعي قام على اساس من الاتفاق او التعاقد بين الافراد لتحقيق حمايتهم وخلصوا بذالك الى انه مدام ان الافراد تعاقدوا على هذا النظام فلا يجو ان يكون حائلا دون تمتعهم بالحقوق الطبيعية [1]فبداية هذه النظرية كانت مع السفسطائيين اللذين من خلال هذا النص أكدو على ضرورة ابرام هذا العقد اللذي بدوره يحافظ على مصالحهم الخاصة وعلى حقوقهم الطبيعية ,فالإنسان هو اللذي يضع القيم وهو الذي بمقدوره المحافظة على وجوده وكرامته بدون قانون او نظام يحكم ذالك ,وهذا ما أكده **جورجياس** في مقولته الشهيرة {الانسان مقياس كل الاشياء}كما ان الابيقوريين كان لهم رأي ايضا بخصوص هذه النظرية اذ يرون " ان الفرد يدخل في اتفاق مع الحاكم يلتزم فيه بالطاعة ويلتزم الحاكم بتوفير الظروف اللتي تتطلبها رفاهية الفرد "[2]ومن هذا نفهم ان هذا العقد يجب ان يتقيد بشروط وهي ان على الحاكم ان يوفر كل ظروف السلم والأمان الراحة والحرية للمحكومين وبالتالي يصبح العقد ساري المفعول فهو عقد وعهد من الطرفين ,وقد مرت هذه النظرية كذالك بعلماء القانون الرومان وبفلاسفة القرن السادس عشر امثال **هارت مان ,ولاتي ,توكس** من جهة ومن جهة ثانية شكلا لجون لوك مقدمة فلسفية وسياسية ضرورية طبيعية كما سيعرف بعد ذالك تحت نفس المسمى نظرية العقد الاجتماعي عند **جون جاك روسو** (1716-1778)فجون لوك ايد الابيقوريين في نظرتهم ,اذ ان الحاكم يعد طرفا في هذا العقد وبطبيعة هذا عكس ما قاله توماس هوبز رأى "ان الناس سلكوا طريق التعاقد فيما بينهم لإقامة سلطة تحكمهم وتقسيم العدل بينهم ,وهم اذ يقيمون السلطة يختارون الحاكم ويجعلونه طرفا في التعاقد"[3]

[1] فضل الله محمد ,الاصول اليونانية للفكر السياسي ,دار الجامعيين للطباعة والتجليد ,الاسكندرية ,2001 ,ص 17

[2] المرجع نفسه ,ص 18

[3] محمد نصر ,تطور المذاهب والنظريات السياسية ,دار الفجر للنشر والتوزيع ,القاهرة ,ط/1,ص 201

ومن هنا يمكن الاشارة بداية الى ان لفكرة العقد الاجتماعي سابقا ظهورا في الفلسفة اليونانية وعند منظري الرومان وكتابات فلاسفة القرن السادس عشر , ومضمون هذه الفكرة هو ان الناس استهلوا وجودهم التاريخي على الطبعة القائمة على الصراع والتدافع "الظروف الاولية اللتي عاشها الانسان هي ظروف الفوضى الفردية حيث كان يد كل انسان تعمل ضد زملائه وأيدي المجموع تعمل ضده فإذا ما تبين ان النتيجة هي عدم الطمأنينة والبؤس الشامل " [1]فهذه الظروف القاسية دفعتهم للتفكير في تنظيمات اجتماعية تنظم علاقتهم الاجتماعية وتسمح لهم بالدفاع عن انفسهم في مواجهة الاخطار المحدقة سواء كانت طبيعية ام مرتبطة بتجمعات بشرية اخرى (اقوام ,امم , شعوب) ويقتضي هذا التنظيم تخلي كل فرد عن انانيته الشخصية لينخرط مع الاخرين في سلك من الحقوق والواجبات المساعدة على ارساء تنظيم إجتماعي يسمح بالأمن والاستقرار والبقاء تحت قيادة اشخاص ذوي كفاءة وقدرة على توجيه الحياة الاجتماعية وتأمين الحاجيات , أي ما يسميه جون لوك تنمية الخيرات المدنية والمحافظة عليها , وهذا السباق التاريخي هو الذي أملى فكرة العقد الاجتماعي بكيفية علنية وطوعية . لقد ظلت انشطة الانسان وفعاليته منذ زمن بعيد مرتكزة على العلاقات الفردية ثم علاقة الفرد مع الطبيعة , وأعقبت هذه المرحلة التاريخية البحث في العلاقة بين الحكام والمحكومين وبين الرؤساء والمرؤوسين المسيطرين بالمسيطر عليهم و وضحت هذه العلاقة اشكالية طُرحت على امتداد التاريخ , وهي بدورها طرحت لنا إشكالية اخرى وهي علاقة المثقف والسلطة اذ ان لكل واقع اجتماعي او سياسي منطقه وفلسفته , وكان لازم على المفكر أي اهل النظر والفلسفة والمعرفة ان يتخذوا موقفا واضحا اما مع الحاكم ضد المحكومين او مع المحكومين ضد الحاكم ومن هنا تبلورت فكرة العقد الاجتماعي ونظرته بدأ من مفهوم الحق الطبيعي وصولا لحظة الاكتمال مع **جون لوك** , **جون جاك روسو** مرورا بمنظر الدولة الكليانية **توماس هوبز** وخاصة في كتابه (**الليفيتان**) [2].

[1] جان توشار ,تاريخ الفكر السياسي ,ص 87

[2] روبرت بالمر ,تاريخ العالم الحديث ,تر/ علي حسن دانون,دار ألمتنبي بغداد ,العراق د/ط 1964 ,ص 96

2-العقد الاجتماعي عند جون لوك

كما سبق واشرنا ان جون لوك يلتقي مع توماس هوبز و جون جاك روسو على الأرضية العامة لنظرية العقد الاجتماعي ,وبالرغم من إتفاقهم هنا إلا ان مسائل الاختلاف بينهم عديدة كذالك اذ ان صاحب رسالة في التسامح يرى ان الحياة الانسانية الفطرية اللتي كنا نحياها قبل العقد الاجتماعي لم تكن حياة فوضى واضطراب وإنما حياة تنظمها قواعد القانون الطبيعي "فلأفراد كانوا في هذه الحالة ينعمون بالحرية والمساواة أي كانوا احرار متساويين فليس لأحد بالطبيعة حقوق اكثر ما لسواه كما ان العقل الطبيعي علم الناس ان لا ينبغي لفرد ان يلحق ضررا لغيره ,لا بحياته ,ولا بتجربته طالما انهم جميعهم متساوون ومستقلون "[1]أي انه في ظلال القانون الطبيعي كانوا الناس يتمتعون بحقوق وحريات كافية ,إلا انهم رغبوا في الأفضل بعد ان ازدادت مصالحهم ولم تعد قواعد القانون الطبيعي كافية لحكمها ومن الاسباب اللتي جعلتهم ينتقلون الى المجتمع السياسي محاولة ترك الافراد تلك السنة الطبيعية اللتي تجعلهم الحكم والخصم في نفس الوقت,فهم في حاجة ماسة الى قاضي منصف او حاكم عادل ,والذي بدوره يقوم بالفصل في تلك المنازعات الموجودة فبوجوده يختفي المجتمع الطبيعي ويسود مجتمع مدني سياسي منظم ,فالفرق بين الحالتين الطبيعية والسياسية:الاولى تتصف بغياب الحاكم وغياب القانون السياسي ووجود القانون الطبيعي فقط,اما الثانية تتميز بوجود قاضي او حاكم ذو سلطة لفرض القانون المدني .

ويعد حسب لوك طرفا في هذا العقد وعليه جملة من الالتزامات لتحمل بمقتضاها بعض الواجبات وعليه "فالحكومة المدنية تنشأ نتيجة عقد,وهذا العقد شأن خالص من شؤون العالم ألدنيوي ولا علاقة للسّلطة الإلهية به. والمجتمع السياسي يبتدئ بموافقة الأفراد على الانضمام بعضهم إلى بعض وإنشائهم لمجتمع واحد وسلطة الحكومة القائمة على العقد لا تتخطى البتّة الخير العام "[2] فبعد الاضطراب الدائم الّذي يطرأ على المجتمع في حالة الفطرة الأولى تظهر الحاجة الملحة إلى حماية الحرية وتنظيمها.

وبصفة خاصة إلى ضمان الحرية الشخصية للأفراد وحماية ملكيتهم الخاصة وإقامة العدل بينهم ومعاقبة المعتدين على حقوق الغير ،ولهذا فقد انضم الأفراد إلى بعضهم البعض وتنازلوا بإرادتهم وبرضائهم عن بعض حقوقهم كحق الردع والاقتصاص وأصبح المجتمع لسياسي أو الدولة هي التي تنوب عن الأفراد في

ا

[1] الامام عبد الفتاح , الاخلاق والسياسة , المجلس الاعلى للثقافة , القاهرة , د/ط 2002 , ص 288

[2] صباح كريم الفتلاوي,نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي,دراسة مقارنة,العدد,مركز دراسات الكوفة , 2008 ,ص 108

القيام بهذه الوظائف،وهذه اول صور التعاقد الاجتماعي في المجتمعات السياسية والمدنية حيث أن طرفا التعاقد هما الشعب والحكومة وإذا أخل أي طرف بهذا التعاقد فإنه يصبح لاغياً وفي هذا السياق يقول لوك : "تكتسب الدولة سلطة وضع العقوبات التي ينبغي أن تلحق بشتى المخالفات التي يرتكبها أبناء المجتمع فيما بينهم وهي سلطة وضع الشرائع وسلطة معاقبة الإجرام التي يقترفها عضو خارج عنها أيضاً والغرض من ذلك كله المحافظة على ملكية أبناء ذلك المجتمع ما أمكن الأمر "[1] وقد خالف لوك في ذلك هوبز الّذي يرى أن الشعب يفوض الملك في مباشرة حقوقه والواقع أن تفويض الشعب إنما يكون لمؤسّساته الدّستورية المتمثّلة في السلطة التشريعية فالشّعب مصدر جميع السّلطات. ويرى لوك أن الحكومة المدنية الّتي تمثّل الإرادة الشّعبية يتعيّن أن تعمل على حماية الحقوق الطّبيعيّة للأفراد ، فإذا ما عطلت الحكومة هذه الحقوق أو اعتدت عليها وجب إعلان الاحتجاج من جانب الشعب بالطرق السلمية ، فإذا لم تتحقّق للشّعب مطالبه كان على كل فرد ان يحمل السّلاح وأن تقوم الثّورة لحماية حقوق الأفراد المشروعة وحرياتهم العادلة [2]اما الأصول التي اعتمد عليها لوك عند قيام العقد الاجتماعي فكانت كما يلي:

*ضرورة قيام العقد على الحرية الكاملة للإنسان

*ليس هناك إجبار على أداء الأفراد ما لا يحبون.

*تنازل الفرد عن بعض الحقوق وهذا التنازل يخص المجتمع كله وليس لأفراد محددين.

أما الحكومة فلا بد لها أن تتبع المبادئ التالية:

*يجب أن يكون لقانون سليماً صحيحاً خالياً من التعسف وان ينطبق على جميع أفراد الدولة

*ضرورة التزام السلطة بوظيفتها كمنظمة وليست كمالكة.

*لا تتنازل السلطة التشريعية عن أداء وظيفتها كذلك لا يحق لها فرض ضرائب دون موافقة [3]

---

[1] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 166

[2] ستيفن ديلبيو ,التفكير السياسي والنظريات السياسية ,ترجمة ربيع وهبة ,دار الطليعة ,بيروت ,ط/1 ,ص 203

[3] مصطفى الخشاب ,تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ,مطبعة لجنة البيان العربي ,القاهرة 1953 ص 155

وكخلاصة عامة لجملة هذه الأفكار اللتي تخص فلسفة لوك السياسية يمكننا القول ان المبادئ العامة للفلسفة السياسية عند لوك هي كالتالي :

أ –تقوم دلالة الحرية الشخصية عند لوك على ان لا احد يملك سلطة طبيعية على حساب الاخر فسلطة الاب على ابنائه هي واجب طبيعي تمنح للأب السلطة على جعل ابنائه احرار وهي مؤقتة ومرحلية وتفقد عند التقصير او سوء الاستعمال "ان سلطة الاب على ابنائه ليست معلقة كما يتوهم فيلمر وإنما هي مؤقتة بفترة زمنية محددة وهي تربية هاؤلاء الابناء وهم (قصر)وتلبية مطالبهم واحتياجاتهم فإذا شبوا عن الخوف وبلغو سن الرشد كان من حقهم الانفصال عن الأسرة "[1]وهذه العلاقة او السلطة لا تتماثل في شيء مع سلطة السيد على العبد او سلطة الرأسمالية على العامل

ب–السلطة السياسية تراضي مشترك وعقد إداري , اذ ان المساواة قاسم مشترك بين اعضاء المجتمع خلافا لما هو عليه الحال في علاقات الانبياء وأساس المجتمع الحرية والغاية من العقد الاجتماعي صون الحقوق الطبيعية للأفراد لا انتهاكها مثلما ذهب الى ذالك **توماس هوبز** وفي سبيل الوضوح نقول ان اعضاء المجتمع لا يتنازلون عن ما يناقض حقوقهم " معنى ذالك ان الحاجة الى ضمان حقوق الافراد الطبيعية من ملكية و حرية وإقامة العدل والمساواة هي التي اضطرت هاؤلاء الافراد الى الانضمام الى بعضهم البعض , والى التنازل عن حق الدفاع عن انفسهم وعن ملكياتهم الخاصة "[2]

ج –من رأي جون لوك " بإمكان المحكومين المقاومة والنضال والثورة اذا اغتصبت السلطة حقوقهم الطبيعية , وأجهضت الحرية والملكية الخاصة غير ان الانخراط والنضال في الثورة ليست غايتها تحقيق الطموحات الشعبية وإنما الدفاع عن النظام العام . ومن ثم فإن النظرية السياسية عند لوك تتكئ على مرجعيات محافظة وهي بالتعيين ذات سقف اصلاحي وليس ثوري "[3] ونفهم من ذالك ان حتى الحق في ثورة وضع له جون لوك قواعد وأساسيات وأهداف من اجل الإصلاح وليس من أجل الدمار

---

[1] امام عبد الفتاح امام ,الاخلاق السياسية ,مرجع سابق ,ص 287

[2] المرجع نفسه,ص 240

[3] سمير كرم ,الموسوعة الفلسفية ,دار الطليعة ,بيروت ط/2 , 1989 ص 261

والقتل والاستيلاء فقط ...الخ . فالسلطة المدنية ذات بعد قضائي في جوهرها , ومن ثم فهي تنفي المشروعية عن السلطة الكيانية الغاشمة المستبدة والمستعبدة , والمستعبد خائن للعهد وللعقد والشعب في حل من أمره , وكان امل لوك من خلال هذا كله هو الحفاظ على النظام والأمن والاستقرار ولم يكن ثوريا بالرغم من انه نظر للثورة ومثلما كان يحذر من السلطة المطلقة والدولة الكيانية كان يهاب السلطة الشعبية ويحذر منها كذالك و"لم يكن لوك اطلاقا ثوريا , وهو يحذر من السيادة الشعبية كما يحذر من المطلقية في الملكية همه الرئيسي هو النظام ,الهدوء ,الامن "[1] وهكذا فإن الفكر السياسي عند لوك فكر علماني في جوهره , يفصل بين السلطتين الدينية والدنيوية بين الزمنية والروحية وبالتالي بين المقدس المتعالي والمدنس الأرضي وبمقتضى هذا الفصل نستطيع ان نحقق ذالك المثل الأعلى الذي يسميه لوك بالتسامح , كما أن فلسفة لوك عارضت الحكم التعسفي وسلطة الكنيسة التي كانت قائمة ولها الشرعية المطلقة .كما يمكن التأكيد ان فلسفة لوك تحددت تاريخيا بصفتها فلسفة الطبقة الوسطى الصاعدة التي اصطدمت مصالحها بجدار اسرة **ستيوارت** الحاكم في المجتمع الإقطاعي مدعومة بسلطة الكنيسة ورجال الدين , وقد استقر هذا الوعي الممكن لهذه الطبقة الصاعدة المطالبة بقدر من الحريات الاقتصادية والسياسية في سبيل حكومة دستورية ومن أجل هامش محترم من التسامح الديني .

[1] جان توشار ,تاريخ الفكر السياسي ,ص 297

الفصل الثالث : ميلاد النمط الديمقراطي وبزوغ الثقافة الليبرالية

المبحث الأول : السلطة والحكومة في فلسفة لوك السياسية

1:في طبيعة السلطة السياسية

2:انواع الحكومات عند جون لوك

المبحث الثاني :الليبرالية بشقيها السياسي والاقتصادي

1:بين الديمقراطية والليبرالية

2:البناء الاقتصادي وأسسه

المبحث الثالث:التسامح وصدى ليبرالية لوك في الساحة العالمية

1:التسامح وفصل الدين عن الدولة

2:اثر ليبرالية جون لوك على الواقع العربي والغربي

المبحث الأول : الحكومة والسلطة في فلسفة جون لوك

1 : في طبيعة السلطة السياسية

أ- القواعد المسيرة للسلطات

لقد اسس لوك بعض التعاليم الأساسية اللتي بموجبها يمكن ان نفهم الحياة السياسية ونفهم تلك المقومات السياسية التي يمكن ان تحافظ على قيام ووجود الدولة .بحيث قسم لنا جون لوك السلطة الى ثلاثة اقسام : السلطة التشريعية و السلطة التنفيذية و السلطة الفيدرالية وحسب هذا الترتيب نرى ان السلطة التشريعية هي الاولى وهذا لحيازتها على مكانة عليا لأنها نابعة من الشعب , وبعد ذالك تأتي التنفيذية ودورها تنفيذ تلك القوانين الصادرة من تلك الهيئة , وسنرجع لذالك بالتفصيل وقبل ذالك سنحاول عرض اهم المبادئ التشريعية للسلطة والتي ركز عليها جون لوك ليبين لنا الدور الهام الذي يلعبه سيد القرار (الشعب)

إن الانتقال من الحالة الطبيعية الى الحالة السياسية لايتم إلا إذا كان هناك قواعد اساسية تسير عليها السلطة السياسية وتعد هذه القواعد هي المبادئ التشريعية لذالك "كان غرض الأول من اندماج الناس في المجتمع هو التمتع بأملاكهم بسلام وأمان وكانت الاداة الكبرى لذالك ووسيلته القوانين فالسنة الوضعية الأولى والرئيسية لجميع الدول هي إقامة السلطة التشريعية بينما سنة الطبيعية الاولى التي ينبغي ان تسيطر حتى على السلطة التشريعية هي بقاء المجتمع وكل فرد فيه بمقدار ما يتفق ذالك مع الخير العام "[1] ومن هنا يتضح لنا الدور الأساسي والرئيسي الذي تلعبه هذه السلطة , فهي السلطة الأسمى في المجتمع وتلتها السلطات الاخرى فهي تابعة لها وتعد ثانوية ولكن في رأي جون لوك من هذه السلطة السامية هناك ضرورة اسمى منها وهي بقاء المجتمع في أمان وسلم وخير عام , والسلطة التشريعية هي التي تسن القوانين وذالك عن طريق العقد الاجتماعي واتفاق افراد المجتمع الأغلبية على تلك القوانين "ومن ثم يصبح القانون الذي يحكم المجتمع ليس قانون الدين بل القانون المدني المصنوع بإرادة البشر حتى ان كان القانون المدني مؤسسا على مفاهيم القانون الطبيعي كما يقول لوك , وهذا لا ينزع عنه صفة المدنية "[2]

---

[1] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 218

[2] فريال خليفة ,المجتمع المدني عند توماس هوبز وجون لوك ,ص 67

رفض لوك للحكم الالهي المقدس كان واضحا وصريحا في الرسالة وبالتالي لابد ان من البديل هو قانون السلطة التشريعية .لذالك كانت السلطة التشريعية عنده ليست سلطة فحسب بل سلطة مقدسة لا تتغير لأنها نابعة من قناعة ورضى الشعب , فهذه القوانين اتسمت بالشرعية والواقعية "لأن الأحكام اللتي يقرها الشعب لن تكون احكام تعسفية رغم انها السلطة العليا في الدولة , وإنما ستضع القانون الذي يمثل الفرد حتى يكون خاضعا له فسلطتها في مداها على الخير العام للمجتمع "[1] فالهدف العام هو حياة مجتمع هادئ وآمن ...الخ وبهذا وضع لنا جون لوك قواعد تسير عليها هذه السلطة كي لا تكون تعسفية كالتالي :

*يجيب ان تسير وفق قوانين ثابتة لا تتغير

*ان تتبع مبدأ المساواة بين البشر وذالك "بأن تتبع قادة واحدة في معاملتها للفقير والغني على السواء وللمقرب عند الملك والحارث وراء محراثه "[2]

*السلطة التشريعية وحدها هي التي تسن القوانين

*عدم التحيز لأي شخص مهما كانت مرتبته الاجتماعية

وغير ذالك من القواعد التي تهتم بمصلحة الشعب , فالسلطة من صنع الشعب وفي يد الشعب , وبناء على هذا "اثبت لوك حق الشعب في سلب السلطة والثروة على من يحاولون سلب ذالك كما ندد بمبادئ الحكم المطلق وكل مظاهر التعسف فجاءت فلسفته ترسي اسس الحرية في بلاده وفي خارج حدودها على سواء "[3] ويمكن ان نلخص كل هذا في كلمة واحدة قالها جون لوك يجب ان تهدف هذه القوانين الى عرض واحد وأخير هو خير الشعب. كما اكد على تقييد كل سلطة بالمهمة الموكلة عليها وعدم الخلط بين المهام "لأنه ينبغي ان تكون السلطة التي تشرع القانون غير السلطة التي تنفذه , فلو كانت السلطة التشريعية بيد التنفيذية فربما توجهها لمصلحتها "[4]اي حسب جون لوك الفصل بين السلطات يكون على حسب مهام كل سلطة حتى لا تتداخل المصالح الشخصية يكون هناك خلل في النظام وفقدان الشعب لحقوقه وحرياته .

---

[1] جون لوك ,مقال في الحكم المدني,ص 219

[2] المصدر نفسه ,ص 225

[3] اميرة حلمي مطر ,الفلسفة السياسية ,ص 105

[4] المرجع نفسه ,ص 106

ب–مبدأ التمييز بين السلطات :

بعدما حدد لنا لوك الضمانات التي تتعهد بها السلطات بشكل عام والسلطة التشريعية بشكل خاص وخاصة ان هذه الأخيرة مكانتها عليا في الدولة لأنها نابعة من الشعب .قام جون لوك بتقييم تلك السلطات وإدراج مهام كل سلطة اتجاه الشعب فبعد السلطة التشريعية التي تكلمنا عليها يجب ان تليها السلطة التنفيذية تنفذ القوانين الصادرة من تلك الهيئة في الداخل والخارج وبعد ذالك تأتي السلطة الفيدرالية حيث كان الترتيب على النحو التالي:

1–السلطة التشريعية :ويمكن ان نحدد مفهومها في انها "الهيئة التي تضع القوانين المنظمة لحماية الجماعة السياسية والحفاظ على اعضائها , وتحدد القواعد التي نستعمل بموجبها قوة الدولة المادية في سبيل تحقيق هذا العرض "[1]فهذه الهيئة تعد الجانب الحساس في الدولة لأنها هي التي تضع القوانين وهذه القوانين يجب ان توضع في صالح الشعب تخدم كل متطلباته , وتحاول ان تحقق له كل حقوقه الطبيعية التي من اجلها عقد هذا العقد وتنازل فيه عن جزء من حرياته , اما بخصوص أعضائها "فهي تتألف من نواب يختارهم الشعب لتلك الفترة من الزمن ويعودون لدى انقضائها الى حال مواطنون عاديون , فلا يكون لهم نصيب من التشريع مالم ينتخبوا مرة اخرى فسلطة الانتخاب هذه ايضا ينبغي ان يمارسها الشعب اما في مواعيد معينة او عندما يدعى لذالك "غير ان السلطة التشريعية اعلى سلطات الدولة في رأي لوك ومن الضروري فصلها عن السلطة التنفيذية ويكون لها السيادة وذالك لأن من يشرع للآخرين يكون في منزلة اعلى فهذا التشكيل الرائع والمنظم للهيئة التشريعية يبين لنا قمة الديمقراطية التي يقر بها لوك في الدولة . وإذا رجعنا الى النظام البرلماني في انكلترا برما نلمس فيه نوعا من الديمقراطية لأن النظام الملكي الدستوري يقوم على تعاون السلطات فيما بينها"نظام ملكي ولكن نظام ديمقراطي الحكم فيه للأغلبية , فالبرلمان هو الذي يختار زعيم حزب الأغلبية رئيسا للوزراء , ورئيس الوزراء يختار حكومته من بين اعضاء البرلمان والحكومة مسئولة لها سياسيا امام البرلمان "[2]بناء مما سبق نفهم ان السلطة التشريعية هي اعلى سلطات الدولة وهي التي تسن القوانين ومن الضروري فصلها عن السلطة التنفيذية فلا ينبغي ان تكون السلطة التي تشرع القانون هي نفسها التي تنفذه ,

---

[1] ابراهيم دسوقي اباضة ,تاريخ الفكر السياسي ,ص 218

[2] امام عبد الفتاح امام ,الاخلاق والسياسة ,ص 316

رغم ان لوك يعتبر هذه السلطة هي الاسمى والأعلى وهي الركيزة التي تحدد شكل الحكومة إلا انه يحذر من سوء استعمال هذه السلطة ويمكن ان نلخصها في نقاط :

-"حين يدخل المشرعون بالسلطة على اساس الثقة المستمرة من المواطنين الذين انتخبوهم فإن الشعب له الحق في ازاحة السلطة التشريعية وتغييرها إذا اخلت بثقة المواطنين الموضوعة فيها"[1]

-بما أن الشعب هو سيد قراراته وهو الذي وضع الهيئة فيحق له خلع النظام اذا فسد او اخل بالاتفاق الذي وضعه الشعب لأنه إذا خالف النهج الذي انتهجه فإن المصلحة العامة تتحول الى المصلحة الخاصة ومن هنا يجب خلعه .

-يجب الفصل بين السلطتين لأن الجمع بينها يجعل القضاء لعبة في يد السلطة التنفيذية , فتنحرف السلطة عن غايتها التي وجدت من أجلها .

-"يجب فصلها عن فرع التنفيذ الذي ينفذ القوانين التي انتهت اليها السلطة التشريعية "[2]فهذا الفصل له اهمية بالغة تعود على المواطنين بالسلم والأمن "هذا الفصل يعد الضمان الاكبر للحرية إذ ان تركيز السلطات في يد الحكام يؤدي في اغلب الحالات الى التعسف في استعمالها , اضف الى ذالك السلطة التنفيذية يجيب ان تكون ساهرة في كل وقت على تنفيذ القوانين بينهما لا يفترض ذالك في السلطة التشريعية التي يقتصر عملها على صياغة القوانين" [3]

2-السلطة التنفيذية : بعد وضع لوك للسلطة التشريعية في الجزء الأول وحدد لها عملها المتمثل في سن القوانين , انتقل الى السلطة الثانية وهي السلطة التي تقوم على تنفيذ تلك القوانين وضمان الالتزام من جانب اعضاء المجتمع ومعاقبة المخالفين ألا وهي السلطة التنفيذية وهي الاداة الفاعلة في الدولة ودورها محدد وواضح هذه السلطة هي ادنى مرتبة السلطة الاولى مما يجعلها خاضعة لها "وتكمن مهمتها في العمل على تنفيذ القوانين المجتمع المدنية التي سنتها السلطة التشريعية وتطبيقها على كل ما ينتمي اليه "[4]وبناء على هذا يحدد لنا جون لوك اهم الضمانات التي يمكنها ان تحمي المجتمع من الفساد وحددها في :قيام ثلاثة سلطات وهي التشريعية والتنفيذية والقضائية غير ان لوك لم يعن إلا بسلطتين هما السلطة

---

[1] ستيفن ديليو ,التفكير السياسي والنظريات السياسية ,ص 83

[2] المرجع نفسه ,ص 85

[3] ابراهيم دسوقي اباضة ,تاريخ الفكر السياسي ,ص 220

[4] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 288

التشريعية والقضائية ورغما ان العلاقة بين السلطتين هي علاقة تكامل وتوافق إلا ان لوك يؤكد على الفصل بينها كذالك يتطرق الى قضية وهي حق الثورة الحرب في حالة فقدان السلطتين المسؤولية الموكلة اليهما من الأفراد .

3-السلطة الفيدرالية (الاتحادية ***Fédérative***)

بين ايضا لوك سلطة دفع العدوان الخارجي وعقد المعاهدات والأخلاق , بينما تفرق في القانون الدولي اليوم بالسلطة الدولية او الدبلوماسية ,فالسلطتان السابقتان (التشريعية والقضائية)تساعد المجتمع على النمو داخليا اما من الناحية الخارجية فلابد لها من سلطة اخرى تقوم بإدارة الأعمال الخارجية وهذه السلطة هي الفدرالية "وهذه السلطة تشمل اذن اعلان الحرب وإقرار السلم والانضمام الى الاخلاق وتوقيع المعاهدات وتنظيم سائر العلاقات مع كل الأفراد والجماعات الخارجية عن الدولة , لذالك يمكن دعوتها بالسلطة الاتحادية او الدولية "[1] "أي معنى هذا ان هذه السلطة مختصة بمباشرة العلاقات مع المجتمع العالمي ,والفصل بين السلطات يعد موازنة فيما بينها وهو الذي يجعل الحكومة تستمر لمدة طويلة "[2]فهذا النص لخص فيه جون لوك اهم المبادئ التي تقوم بها السلطة ,فتنسيق العلاقات مع الدول الاخرى ليس بالأمر الهين ويرى لوك انه ليس من المهم فصل السلطة التنفيذية عن السلطة الاتحادية لأن كلاهما خاضع للحكومة والتي على رأسها الملك اللذي تم انتخابه من طرف اغلبية الشعب لذالك "رغما كونهما متباينتين في ذاتهما اذ ان احداهما ينطوي على تنفيذ قوانين المجتمع المدنية وتطبيقها على كل من ينتمي اليه , والأخرى السهر على سلامة الجمهور ومصالحه في علاقاته الخارجية بكل ما قد يصيبه منه نفع او ضر ,فهما تكادان تكونان دائما ملتحقتين إحداهما بالأخرى "[3]فالهدف واحد بالنسبة للسلطتين , فالتنفيذية مهمتها المحافظة على الأمن والاستقرار داخليا والاتحادية خارجيا . "سواء في الظروف العادية او الغير عادية أي التنفيذية تمارس التنظيم والهدف من كل عدم زعزعة المجتمع من أي جهة "[4]وعموما يمكن القول ان الهيئات الثلاثة مكملة لبعضها البعض حتى وان تم

---

[1] جون لوك ,مقال في الحكومة المدنية ,ص 227

[2] المحمداوي علي عبود وآخرون ,من الشموليات الى السرديات الصغرى ,دار الروافد الثقافية ,بيروت لبنان ط/1, 2002,ص 127

[3] المرجع نفسه ,ص 128

[4] Louis Favoreu, le domaine de la loi et du règlement ,2édition, Economica,1981p64

التشريعية والقضائية ورغما ان العلاقة بين السلطتين هي علاقة تكامل وتوافق إلا ان لوك يؤكد على الفصل بينها كذالك يتطرق الى قضية وهي حق الثورة الحرب في حالة فقدان السلطتين المسؤولية الموكلة اليهما من الأفراد . الفصل بينها لكن لكل هيئة دورها خاص الذي لا يتعارض مع الهيئات الاخرى .لأنه إذا تعارضت هذه الهيئات لا يمكن تحقيق ذالك الهدف المنشود وهو الامن والاستقرار داخل المجتمع ومن هنا تفكك الدولة التي تحمي التعاون والتكاثف مناجل سلامة الشعب "إن التشدد في تطبيق الفصل بين السلطات بصورة مطلقة راجع اساسا الى عدم معرفة رجال الثورة الفرنسية لواقع وحقيقة النظام البريطاني اللذي سوف يشهد تغيرا على مستوى السلطات "[1]اضافة الى ذالك دعى لوك الى سلطة اخرى سماها (سلطة التاج) او مجموعة من الحقوق والامتيازات التي يجب ان يحتفظ بها التاج البريطاني

Bernard Chante bout, droit constitutionnel et science politique, 16edition, Armand Colan, Paris,1999 p134

2:انواع الحكومات عند جون لوك :

لقد كان غرض جون لوك الأول والأخير تكوين مجتمع متماسك يمارس فيه المواطنون كامل حرياتهم ويتمتعون بالأمن والسلام والاستقرار , وهذا كله يكون تحت اداة اسما القانون اللذي يقره المجتمع ويسير عليه الجميع دون استثناء وإذا اراد الفرد ان يحقق هذا النوع من الحياة لابد له حسب رأي جون لوك ان يفصل بين تلك السلطات التي تكلمنا عليها سابقا .ويرى لوك انه رغم تعدد السلطات ليس هناك حكومة واحدة ,ولكن هناك العديد من الحكومات اللتي قام بتوضيحها , وقبل ان نتطرق الى ذالك يجب ان نوضح شيئا وهو ان تغيير الحكومة لا يعني تغيير المجتمع في حد ذاته "لأن شكل الحكومة قد يتغير إلا ان هذا لا يعني تغيير المجتمع ذاته فالمجتمع ثابت لا ينحل بانحلال الحكومة ولعل هذا يرجع اساسا الى فكرة العقد الاجتماعي اذ ان ما تعاقد عليه الناس هو اقامة المجتمع السياسي وليس تحديد شكل الحكومة "[1]ويعد تحديد شكل الحكومة في المجتمع من الاساسيات التي اكدها لوك من اجل انشاء مجتمع مدني , وكما نعلم ان كل فلسفة كانت تنادي بالحكم الديمقراطي فلنبدأ بأول حكومة وهي

*الحكم الديمقراطي

إن المفهوم الشائع للديمقراطية والموجود عموما في كواليس الفكر السياسي , هو حكم الجماهير او حكم الناس جميعا لأنفسهم , لأن الشعب هو سيد قراراته فالحرية تنبع من رحم الحرية .ولكن هناك من يرى ان الديمقراطية ليس لها تعريف دقيق ومحدد فهي "ليست منهجا فكريا تتنافس في نقاشه ,ولا نبحث عن فروعه وأصوله بل هي في الاساس ادارة يتفق عليها المجتمع لتحقيق علاقاته ومصالحه ولهذا لم يصل احد الى تعريف ثابت ودقيق لها "[2]فنرى ان المفاهيم لم تختلف في قضية ان الديمقراطية حكم الشعب فلوك يرى انه "لما كانت الأكثرية كما أثبتنا سابقا تكتب لدى اتحاد البشر في مجتمع ما سلطة بكاملها .فلها الحق باستخدام تلك السلطة من اجل وضع القوانين العامة من حين الى آخر وتنفيذ تلك القوانين بواسطة موظفين نعينهم من أجل ذالك وعندها يكون شكل الحكم ديمقراطيا تاما "[3]من هنا نلاحظ ان لوك يقر أن شكل الحكومة الذي يمكن ان نطبقه على ارض الواقع وبه يمكن تحقيق كل ما يصبو اليه

---

[1] علي عبد المعطي محمد ,الاتجاهات الفلسفية الحديثة ,دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية , 2007 ,ص 147

[2] محمد الأحمري ,الديمقراطية الجذور وإشكالية التطبيق ,الشبكة العربية للأبحاث والنشر ,بيروت ,2012 ,ص 53

[3] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 216

البشر من حقوق , وهو الحكم الديمقراطي ,فيحدد لوك اشكال الحكومة وفقا لمركز السلطة التشريعية فقط بتعيين حاكم او هيئة حاكمة لتنفيذ القانون , فإن الحكومة تكون ديمقراطية .

***الحكم الأوليجاركي**

يعد هذا الحكم النوع الثاني الذي حدده لوك في كتابه (**مقال في الحكم المدني**)ولقد وضحه في عبارة واحدة وهي "انه سلطة تقوم بوضع القوانين لفئة مختارة من الناس ولورثتهم وحلفائهم "[1]معنى ان يقوم الشعب باختيار هيئة تنوب عنه وتقوم بوضع القوانين (حكم الفئة القليلة)ولوك لا يحبذ هذا النوع من الحكومة , لأنه حكم الأقلية الذي قد يغلب عليه نوع من المصلحة والطغيان على عكس من حكم الأغلبية المقيدة بالقوانين التي تكلم عليها في البداية

***الحكم المونوركي**

هذا النوع يعين فيه حاكم واحد وفيه تكون الحكومة ,ويسميه جون لوك حكم الرجل الفرد كان هذا النمط من الحكم بيد الفرد الواحد وعادة كان في يد الفئة القليلة في العهود اليونانية الاولى وهو نقيض الديمقراطية التي جاءت لي تفرض قيودا على هذا الحكم المستبد ورغم تقييم او توضيح لوك لأشكال الحكومة إلا انه يميل الى الحكومة الديمقراطية التي يراها الأنسب لأي مجتمع سياسي .فالحكومة رغم اختلاف اشكالها لا يمكن الاستغناء عنها والمجتمع السياسي لا تكتمل نموه إلا بحكومة تدير شؤونه إن المجتمع السياسي او "حكومة المجتمع المدني هي مخلوقة , حيث يضع أي عدد من الناس باتفاق الكل مع الاخر مجتمعا فإنهم بذالك يصنعون مجتمع الجسم الواحد بقوة تفعل ككيان واحد , محددة فقط بإرادة الاغلبية "[2]فالشعب والذي يقوم بتشكيل الحكومة التي تحكم وفق قانون ثابت , وهذا لن يكون إلا بعد تأسيس السلطة التشريعية والتنفيذية ,هذا ما اكده لوك سابقا مع "ان شكل الحكومة يتوقف على مقر السلطة العليا وهي السلطة التشريعية إذ يستحيل تصور سلطة دنيا تملي الاوامر على سلطة عليا أو ان تضع القوانين سلطة غير السلطة العليا فشكل الحكومة مرتبط بمقر السلطة التشريعية "[3]إن هذا الإعلاء للسلطة التشريعية هو الذي يساعدنا في تحديد شكل الحكومة التي تخدم الشعب كما اكد لوك ان الديمقراطية هي الأنسب والنظام الوحيد البشري لأنه يحتوي على موافقة الشعب

---

[1] جون لوك ’مقال في الحكم المدني ,ص 216

[2] ستيفن ديليو ,التفكير السياسي والنظريات السياسية ,ص 53

[3] جون لوك ,مقال في الحكم المدني ,ص 217

المبحث الثاني :الليبرالية بشقيها السياسي الاقتصادي

1:بين الديمقراطية والليبرالية

من الأهداف الأساسية والرئيسية التي يصبو اليها المجتمع المدني قضية تحقيق الديمقراطية والليبرالية , وزرع فلسفة التسامح بمعنى اكثر وضوحا لأن جون لوك كان يسعى الى بناء صرح ديمقراطي ليبرالي له خلفية فلسفية , وهي التأسيس لفلسفة التسامح التي بنى من خلالها "**رسالة في التسامح** "ويع النمط الديمقراطي القاعدة الأساسية للمنظومات السياسية حتى وان كان هكا الهدف مجرد نظرية نحاول تحقيقها وتطبيقها في الدولة .والهدف من هذا في زمن جون لوك أي القرن السابع عشر هو استبدال الملك بجهاز حكومي له سلطة تنفيذية , وله الحق في ادارة شؤون المواطنين بطريقة عادلة بعيدة عن الملكية الخاصة وحق الملوك ومحاولة تعميم مبدأ الديمقراطية الذي ينص على الحفاظ على حقوق الإنسان والمساواة بين جميع الأفراد وضمان الحقوق الجوهرية للأفراد (الدين ,حرية العبير ,حرية التفكير ...الخ)وسؤال المطروح هنا هو ما العلاقة بين الحرية والديمقراطية؟

فيعتبر جون لوك ان الديمقراطية مفهوم متعدد بتعدد وجهات النظر والفلاسفة ولكننا سنعرض المفهوم المشهور قديما وحديثا في قاموس الفكر الحديث "هي حكم الجماهير او حكم الناس جميعا لأنفسهم "[1]ونفهم من هذا التعريف ان الشعب هو صاحب القرار وهو الذي يولي نفسه بنفسه أما بخصوص الليبرالية فالمفهوم عام عند دعاة هذا المذهب "هو انها مذهب الحرية "[2]وهو مشتق لغويا من كلمة "**ليبيراليس** التي تعني الشخص النبيل الكريم الحر "نفهم من هذا ان الليبرالية نتيجة الحرية في القرن السابع عشر على يد جون لوك "مؤسس الاتجاه الديمقراطي الليبرالي في الفلسفة السياسية وكان من اهم ركائز الثورة على الحكم التعسفي والسلطان المطلق للملوك والكنيسة , والمدافع الأكبر عن كفاح الطبقة البرجوازية النامية .... ومن أبرز المدافعين عن إقامة الحكم الدستوري وتحقيق الحرية الفكرية والتسامح الديني "[3]فقد أتضح مما سبق ان الليبرالية توحي بالتحرر من كافة انواع الطغيان , سواء السياسي أو الديني او الاقتصادي ... وحتى العقلي وإذا رجعنا مؤلفات جون لوك نجدها كلها تؤكد على هذا النوع

---

[1] طيب بوعز ,نقد الليبرالية ,ص 16

[2] المرجع نفسه ,ص 18

[3] اميرة حلمي مطر ,الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس ,دار المعارف ,مصر ,ط/5 ,1995 ص 65

من التحرر خاصة في كتابه (**المقالة الثانية في الحكم المدني**)الذي استهله بتوضيح الحالة الطبيعية للإنسان والتي هي حالة الحرية في جميع ما يملك الإنسان سواء اجسادهم او املاكهم ولكن في حدود القانون الطبيعي "فالحرية تساوي حق الحفاظ على الذات , فالإنسان في الحالة الطبيعية حر بالمعنى الميتافيزيقي كما بالمعنى السياسي , لأن الحرية في الواقع ماهية الحياة والمساس بها يعني المساس بالحياة في حد ذاتها إن الذي يسيطر على حياتنا يجعلنا عبيد اهوائه , وأدوات غاياته , فالعبودية النقيض المباشر للحرية أي النقيض المباشر للحياة "[1]حقا الحرية هي الحياة وهي كرامة الإنسان وروح المجتمع وقد حدد لنا جون لوك قسمين من الحرية كالتالي :

الأول :"حرية الإنسان الطبيعية واستقلاله عن أي سلطة عليا على الأرض وعدم خضوعه لإرادة بشرية قط او لسلطة تشريعية "[2]فقوله استقلال الفرد عن أي سلطة عليا على الأرض , يدل على الحرية المطلقة غير مشروطة بنوع من الشروط وهذه الميزة منحتها الطبيعة للبشر ولا يحق لأحد ان ينزعها .

الثانية : تتمثل في " حرية الإنسان في المجتمع فتعني انه ليس مسخرا لسلطة تشريعية , سوى السلطة التي نصبت بالاتفاق في الدولة , وانه ليس خاضعا لأي ارادة او مقيدا بأي قانون , سوى ما تسنه تلك السلطة التشريعية وفقا للأمانة التي عهد بها اليها "[3]من هذا نفهم ان الفيلسوف عرض لنا الحرية المطلقة في الحالة الطبيعية وكيف ان هذه الاخيرة تتحدد في الحالة الاجتماعية , أي تتقيد بقانون اتفق عليه الجميع وهو سار على الجميع .فهذا يدل على السلبيات والأضرار التي تنجم عن الحرية المطلقة التي نادى بها **فيلمر** , فالحرية اذن ليست ما يذهب اليه **السير روبرت فيلمر** حيث يقول "حرية كل امرئ في ان يصنع ما يشاء وان يحيا كيف ما شاء ولا يتقيد بقانون "[4]فلوك يرفض هذا النوع من الحرية ويطالب بأن توضع ضوابط للحرية تحت ضل المجتمع السياسي ,وهذه الضوابط من صنع الجميع ويخضع لها الجميع دون منازع , فالسلطة المطلقة او الحرية المطلقة تعد خطرا على المجتمع ويجب القضاء عليها "والتحرر من كل سلطة مستبدة ضروري لبقاء الإنسان ومتصل به كل الاتصال ,بحث لا يتسنى له ان يتخلى عنه إلا بالتخلي عن ما يضمن بقائه وحياته معا "[5]

---

[1] صالح مصباح ,فلسفة الحداثة الليبرالية الكلاسيكية من هوبز الى كانط ,دار الجداول ,بيروت , 2014 ,ص 152

[2] جون لوك ,مقال في الحكومة المدنية ,ص 150

[3] المصدر نفسه ,ص 151

[4] المصدر نفسه ,ص 155

[5] بيرتراند راسل ,تاريخ الفلسفة الحديثة ,ص 105

لذالك وكما قلنا سابقا يعد جون لوك من مرسخي مبادئ الليبرالية في العصر الحديث , ومن المتشددين في وضع ضوابط للنزعة التحررية والتي تخضع دائما للعقد الاجتماعي , وبناء على ذالك بدأت الليبرالية تنتشر و اتخذت العديد من الاشكال والاتجاهات , منها السياسي وآخر اقتصادي فكلمة "الليبرالية مأخوذة هنا بمعنى مزدوج فهي تعني اولا ان المؤسسات السياسية ترتكز على مبادئ الجوهرية التالي : سيادة شعبية ,برلمانات ,استقلالية القضاء ,الحرية العامة ,التعددية الحزبية "[1]

وعليه فلليبرالية بعد سياسي يخدم المؤسسات السياسية واقتصادي يحقق اغراض المجتمع فليبرالية هي "فلسفة اقتصادية وسياسية ترتكز على اولويات الفرد بوصفه كائن حر "[2]وكانت بهذا الليبرالية التي قال بها لوك "تعديل لتلك التي نادى بها هوبز والتي غلب عليها التسلط "[3]وقد توج الأول نصوصها الاخيرة بالصورة النهائية لتصوره للتسامح في رسالته الشهيرة بالفصلين الاخيرين من الحكم المدني ,وهما قطبا تعديل لوك لليبرالية السياسية مباشرة .وقبل ان قدم لوك في رسالته في التسامح فهمه النهائي للتسامح , غير من البحث في التسامح سنة 1667 رأيه جذريا بتبني التسامح حلا للازمة العقدية والسياسية الانجليزية والأوروبية مرورا بنص مختصر حول الفرق بين السلطان الكنسي والسلطان المدني يعود الى 1674 لهذا وكما سبقت الإشارة يقوم هذا الفهم بعناصر عديدة اهمها الفهم العلماني للكنيسة اللذي يتجلى منذ تعريف لوك لها بأنها "جماعة حرة مؤلفة من اناس اجتمعوا بإرادتهم لعبادة الله علنا على النحو الذي يرونه مقبولا عنده وكفيلا بتحصيلهم للنجاة "[4]نفهم من هذا ان لوك نكر جانب الفصل في المنازعات الدينية من طرف الحاكم المدني , ولكنه اعطاه الحق في من يعكرون السلام العام وحث على انشاء كنيسة وطنية تعينها الدولة الى جانب الكنائس الحرة التي يسمح بها القانون كما تجلت المظاهر السياسية في عبارة مختصرة بكاملها في المادة الاولى في اعلان حقوق الإنسان والمواطن العام سنه 1789 "يولد البشر ويبقون احرار متساوون في الحقوق , كلمتا الحرية والمساواة تعبران عن اساس الإيديولوجية الليبرالية "[5]فهما الاساس الذي به يمكن للإنسان ان يحقق وجوده ويحافظ على الكرامة

---

[1] موريس دوفرجيه,المؤسسات السياسية والقانون الدستوري,ترجمة رج سعد,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر,بيروت ,ط/1 1992 ص 67-66

[2] الطيب بوعز ,نقد الليبرالية ,ص 20

[3] صالح مصباح ,فلسفة الحداثة الليبرالية ,ص 142

[4] جون لوك,مقال في الحكم المدني ,ص 107

[5] عبد الله العروي ,مفهوم الحرية ,ص 82

الإنسانية فالمساواة تعني ان كل الناس في مرتبة واحدة ولا يوجد شيء اسمه الوراثة او والحقوق الوراثية , اما الحرية فتعني ان الجميع احرار في تفكيرهم وفي طريقة عيشهم , كل هذا في حدود ما يسمح به القانون المدني .

ومن خلال ما سبق يمكن ان نوضح العلاقة بين المجتمع المدني والديمقراطية هي علاقة ضرورية وذالك ان "حب الديمقراطية هو حب المساواة والقناعة ايضا دوما يجب ان يتمتع كل واحد فيها بالسعادة ذاتها والمنافع ذاتها ,ويجب ان يتمتع كل واحد بالملاذ ذاته وان يوحد فيها ذات الآمال ,وهذا الأمر لا ينتظر من غير القناعة العامة "[1]وهذا دليل قاطع من **مونتسكيو** عن مكانة الديمقراطية والليبرالية لدى اصحابها ,فهي تساعد الأفراد على المشاركة في جميع المؤسسات الرئيسية الموجودة في المجتمع المدني ,من منصب ونقابات ومساجد وكنائس ...الخ فهي تساعد على التشاور مع الاخرين من اجل الصالح العام ,وهذا الجو يخلق لنا علاقة وطيدة بين الديمقراطية والمجتمع المدني ذالك "من خلال ما يقوم به المجتمع المدني من ادوار ووظائف تساهم في ترسيخ قيم الديمقراطية في الوعي والواقع "[2]فالمجتمع المدني يعتبر الحضن الاساسي والرئيسي لتقبل الديمقراطية والعمل بها حتى نحصل على مجتمع قادر على الممارسة السياسية بطريقة سليمة ونزيهة فالحرية تساعد الأشخاص على البحث عن طريقة جديدة وفرص تعوضهم عن نقائصهم , فتعد الانفتاح على الآخر والبحث عن ماهو احسن وانسب وبالتالي يمكن ان نستنتج ان المساواة هي قاعدة الديمقراطية والحرية هي اساس الليبرالية ولا يمكن الفصل بينهما والكل له مهامه المحددة ,والحفاظ على المهام يساعد على الحفاظ الاستخدام الجيد لهذه الممارسات , وهذا كله يصب في هدف واحد هو انشاء مجتمع مزدهر يقوم على الحق والمساواة ويرفض الطغيان والقمع وكبت الحريات والاستبداد

[1] مونتسكيو ,روح الشرائع,ترجمة عادل زعيتر ,دار المعارف ,مصر د/ط 1953 ,ص 68

[2] عبد الوهاب الكبالي,الموسوعة السياسية ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت ,لبنان ,د/ط , 1986 ,ص 58

2-البناء الاقتصادي وأسسه

كما ذكرنا سالفا ان الحالة الطبيعية كانت حالة مساواة وحرية تامة,لكن حب الذات والتعاون والمصالح المشتركة دفعهم الى الدخول في عقد اجتماعي لوضع يشمل ألكل وذلك من اجل الحفاظ على الملكية التي تعد من اساسيات البناء الاقتصادي في المجتمع المدني.لأجل ذلك وبما انا البناء الاقتصادي مهم في بناء مجتمع مدني عمل **جون لوك** على توضيح الاسس الاقتصادية التي يقوم عليها المجتمع المدني كذلك,فوضع القواعد التي يجب ان يسير عليها الافراد في ظل المجتمع المدني لأنه اذا نما الجانب الاقتصادي نما المجتمع المدني,لان البناء الاقتصادي يعد الجانب التنموي في المجتمع المدني,والذي يميل في حق الملكية وتقسيم العمل والتبادل التجاري (**السوق**) .

أ- حق الملكية والعمل

تحدث **جون لوك** عن الحق في الملكية مبديا رأيه على انها الكلمة الرئيسة للتعبير عن حقوق الفرد ومستحقاته,موضحا انه لو لم يكن الظلم لما كان هناك مطالبة بالحقوق الفردية ,مثل الحق في الحياة والحرية والممتلكات المادية .والحكومات وجدت لتحقيق حقوق الافراد وحمايتهم ما سمح لها ان تكفل لكل البشر حياتهم وحرياتهم وممتلكاتهم المادية. فقد تشكل هذه النظرية في نظرة معرفية توضح الشقاق الحاصل بين الحاكم والرعية ,وظهرت خلال القرن السابع عشر.ويقسم لنا فيلسوفنا الملكية الى نوعين : الملكية العامة,الملكيه الخاصة .وسطر **لوك** الفارغ المركزي بين الملك الخاص والملك العام ,محددا في العمل اذا العمل البدني للإنسان وكده المستمر هو الملكيه الخاصة للعمل الذي لا اختلاف بينهما حيث يجمع بين العمل والأغراض المادية,مثل جمع الثمار وحرث الارض واستغلالها .فبذلك يكتب الانسان الحق فيما عمله وما انتجه بتلك المواد المادية مما يتيح له حق الملكية في التصرف الذي مارس فيه عمله اليدوي والمادي,ولحصول ذلك يشترط **لوك** في حياة الانسان وجود مواد لاستخدامها,وداخل هذا الشرط لابد من وجود ممتلكات خاصة . هذه هي الحقيقة التي اراد **جون لوك** تأكيدها وهي ان حق الملكية الخاصة التي تعتبر الحق الاول للفرد الذي لا ينازعه فيه منازع,ان يمتلك ذاته او نفسه. "فعلى الرغم من ان الارض وجميع الحيوانات الدنيا كانت ملكية مشتركة بين البشر,فان لكل فرد الحق في امتلاك شخصه ملكية خاصة,وهو حق لا ينازعه فيه وليس لأحد الحق فيه سوئ هذا الشخص فحسب" [1]

[1] ليوستراوس وجوزيف كروسي,تاريخ الفلسفة السياسية,ترجمة محمود سيد احمد,المجلس الاعلى للثقافة,القاهرة,2005,ص 26

و بهذا نفهم ان الحق السياسي في الملكية هو حق امتلاك الذات "إن الملكية التي يملكها كل شخص في شخصه الخاص وعمله الخاص ,هي الملكية الاصلية والطبيعية لأنها اساس كل ملكية في حالة الصيغة "[1]ويقترح جون لوك اخراج الملكية من الحالة الطبيعية الى الملكية الخاصة ,ويكون الك بأن يمزج عمله مع الملك وبهذا يضيف اليه شيئا من ذاته ,وبهذه الطريقة يجعله ملكا له فبواسطته تم اخراج الجزء من حالة المشاع التي وضع بها في الطبيعة .فقد اضاف اليه من شيء العمل شيء يلغي الحق المشترك للناس الآخرين .فبهذا العمل هو ملك للعامل فقط ,فهو صاحب الحق وعلى رأي جون لوك فإن ذالك البلوط او التفاح الذي يجنيه من الغابة فقد حصل عليه من عمله في ملكيته اذا هذا الغذاء ملك له ولا احد ينكر ذالك

يتضح من هذا ان العمل هو الذي يضع قواعد للملكية,والمالك تصبح له الأحقية الكاملة والصريحة لهذا الحق امام الناس وأمام السلطة السياسية,التي لا يمكنها نزع هذا الحق لأن صاحبه حاز عليه من ثمرة جهده الفعال والمستمر

تعد هذه بمثابة الضوابط الأساسية للمكية وذالك من اجل الحفاظ عليها لذالك فإن"العمل هو روح الملكية فالسنة العقلية نفسها تجعل الظبي الذي يصطاده الهندي ملكا له لذا تقضي بأن يصبح الشيء ملكا لمن يضفي عليه جهدا منه مع انه كان قبل ذالك حقا مشاع للجميع وما تزال تلك حالة الشعوب التي تعد بين الأمم الممتثلة التي وضعت قوانين لحماية الملكية مرارا وتكرار,فإن هذه السنة الطبيعية والأصلية ما تزال اساس القوانين الوضعية الخاصة بتحديد نداء الملكية الفردية "[2]ولكن السؤال الذي يمكن طرحه ألا يولد هذا النوع من الملكية حب الذات والأنانية؟

يجيبنا لوك "ان السنة الطبيعية نفسها التي تكسبنا حق التملك علي هذا تقيد هذا الحق ايضا ان الله رزقنا كل شيء بوفرة فهل يؤيد الوحي صوت العقل ولكن الى أي حد اصبغه الله علينا بالتمتع؟بمقدار ما يتسنى لكل امريء ان يتمتع به في غرض من اغراض الحياة قبل ان يفسد يحق له ان يمتلكه بكده وجده وكل ما فاض عن ذالك فهو يربو على نصيبه فكان اذا ملكا للآخرين "[3]فقد ارجع لوك حق الملكية الى السنة الطبيعية او قانون الطبيعة لتحديد المقدار او الكمية التي تخص الفرد وذالك لسبب واحد كي لا تتحول الى انانية فتولد الجشع والطمع لدى الآخرين

[1] ليوستراوس وجوزيف كروسي,تاريخ الفلسفة السياسية ,ص 33

[2] جون لوك ,مقال في الحكومة المدنية ,ص 154

[3] المصدر نفسه ,ص 155

وبذالك ما يفيض عن مستحقات الإنسان يعود الى الآخرين,فمن وراء هذا يمكنان نستخلص ابعاد فلسفة لوك السياسية وخاصة في نظرية الملكية ان "فلسفة لوك قد ضلت وراء النظم الرأسمالية التي تحمي حرية تضخم رأس المال وأخذت بمبدأ الحرية الاقتصادية المطلقة التي عبر عنها علماء الاقتصاد الحر بعبارة دعه يعمل دعه يمر ,فالاقتصاد الحر يترك موارد الانتاج ملكا خاصا للفرد ولا يركزها في يد الدولة ويترك للمنتج حرية اختيار الإنتاج الذي يمكنه من تحقيق الربح ويترك الوقت للمنافسة الرأسمالية "[1]

وقد اولى لوك الأهمية البالغة للعمل وأكد على انه يعد عاملا اساسيا للتطور,وهذا ليس جديدا على الإنسان,ولكنه منذ البداية فلولا العمل ولولا الكد والجهد لما وصال الإنسان على ماهو عليه "فهو مصدر جميع القيم المادية ولا شك ان الحضارة تنمو وتتقدم عن طريق العمل والنشاط البشري "[2]
فبدون العمل يتوقف التطور ويتوقف نمو الحضارات وتنتشر روح الملل والبأس فالعمل هو سيل الدول المتقدمة ومعيار كل تقدم لذالك العمل هو روح الملكية وبناء على ذالك يمكن القول ان الملكية الخاصة هو مركب بين ماهو خاص (العمل)وما هو مشاع (الارض الثمار ..الخ)وعليه فالعمل هو الذي يحول الملكية العامة الى ملكية خاصة من خلال الكد والتعب فالملكية الخاصة هنا هي ملكية خالصة ولا يحق لأي انسان انتهاك ملكية الآخر .
ونستطيع القول في الأخير ان نظرية لوك في الملكية تعد المقولة الاولى في فلسفة الحق ,وبهذا كانت من بين العوامل الأساسية التي ساعدت الإنسان على الانتقال من الحالة الطبيعية الى المجتمع المدني , ولكن كما قلنا سابقا اذا كانت الملكية الخاصة عبارة عن نتيجة من نتائج العمل ,فالعمل بحد ذاته لديه انتاج لابد من بيعه وتداوله بين الناس حين لا يتلف ,في هذه الحالة لابد تبادل الإنتاج بين الناس وهذا التبادل لا يمكنه ان يتم إلا في سوق مشتركة والعملة هي الوسيلة للبيع والشراء .

[1] اميرة امام عبد الفتاح امام ,الاخلاق والسياسة ,ص 159
[2] حلمي مطر ,الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس ,ص 102

ب–التبادل التجاري (السوق)

وبهذا يجب ان نجد طريقة للتخلص من هذه الثروة (الفائض من الحاجات)وهنا نحتاج الى سوق من اجل تسويق الثروة وبيعها كي لا تتلف وهذا يسمى التبادل التجاري وفي هذه الحالة نحتاج الى المال الذي له قيمة كبيرة من اجل شراء المستلزمات الضرورية للحياة وبذالك تبادل السلع الأساسية المراد استهلاكها, فالعملة دورها اساسي ومهم في حماية المنتجات ولهذا يرى لوك ضرورة "استعمال النقود حتى يتمكن الافراد من تبادل الخيرات سريعة التلف ,لأن المعادن مثل الذهب والماس والفضة تتحمل ولا تتلف "[1] فخيرات الارض كثيرة ويمكن ان تسبب اشكالية للملكية الخاصة ,ولهذا يجب ان تسوق هذه الخيرات وتباع عن طريق المقايضة,فالقيمة الحقيقية لهذه الخيرات عندما تباع وتشترى بالمال طبعا ,فالنقود كانت بمثابة حل لإشكالية تضخم السلع وربما تلفها , وفي هذه الحالة الكل يستفيد "وفي استعمال النقود لتبادل خيرات الارض حل لإشكالية الملكية الكبيرة في الارض التي ثمارها اكثر من امكانية المالك في الاستهلاك وبالتالي يقبل الأفراد باتفاق ارادي او مهني تفاوت ملكية الارض باكتشافهم طريقة استعمال ناتج الارض عن طريق تبادل بالنقود وإفادة الحياة دون أي اذى لأحد "[2]

ومن هنا نستنتج ان للعملة دو اساسي في توظيف حق الملكية الخاصة الناتجة عن العمل ,والكل يستفيد وهكذا يمكن للمجتمع ان يتطور لنه يقد سلع مفيدة للبشر ,ويتحول العمل الى عمل انتاجي صناعي يكفي حاجات البشر وهنا نرجع ونؤكد ضرورة العمل فهو بمثابة جوهر الملكية الخاصة وبدونه لا تتحقق الملكية ومنه يتحقق الجانب التنموي للمجتمع المدني من خلال نمو وتطور الاقتصاد,ولكن معيار الأمن والحفاظ عليه هو ما يجعله ينتقل من الحالة الطبيعية الى الحالة المدنية والذي على اساسه تقوم السلطة السياسية .

[1] فريال خليفة,المجتمع المدني,ص 37

[2] المرجع نفسه,ص 38

المبحث الثالث: التسامح وصدى ليبرالية لوك على الواقع العربي المعاصر

1:التسامح وفصل الدين عن الدولة

أ–ضبط مفهوم التسامح:

سطر جون لوك الخطوط العريضة والأخيرة في النظرية السياسية ذات البعد الليبرالي فيما كتبه في منتصف الثمانينيات القرن السابع عشر في هولندا في كتابه **رسالة في التسامح** ونرى ان مصطلح التسامح قد سجل حضوره بعمق في ابجديات الحوار السياسي والديني والأخلاقي في التجربة الإنسانية إلا انه كان الشعار والنموذج الأعلى للتعامل مع الآخر

"فكلمة التسامح tolerance مشتقة من كلمتين لاتينيتين وهما tolère وتعني يعاني و يقاسي و tolérantia وتعني لغويا تساهل " [1]"وتستخدم بمعنى استعداد المرء لتحمل معتقدات وممارسات وعادات تختلف عن ما يعتقده الناس كما تعني القدرة على الاحتمال "[2] اما من ناحية الدلالة العربية فتعني في لسان العرب "السمح,التسامح السماحة والتسمح ونعني الجهود واسمح إذا جاء وأحضى بكرا ,واسمح إذا جاء وأعطي واسمح وتسامح وافقني الرأي المطلوب والمسامحة هي المتساهلة "[3]وجاء في المعجم الفلسفي لابن مذكور ان "التسامح سعة الصدر للآخرين ان يعتبروا عن ارائهم ولو لم تكون موضوعا للتسليم او القبول ولا يحاول صاحبها فرض اراءه الخاصة على الآخرين اما عن التسامح الديني فهو احترام عقائد الآخرين "[4]اما في المعجم الفلسفي لأندريه لالاند ولدت كلمة التسامح في القرن السادس عشر من الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت ثم صار التسامح يرتجي اتجاه جميع الديانات فكر المعتقدات وفي آخر المطاف في القرن التاسع عشر شمل التسامح الفكر الحر كما يضيف لالاند تعريفا آخرا "ان التسامح يحمل اربعة معاني وهي ,رد ألاذي,استعداد عقلي قوامه حرية التعبير,احترام ودي للآراء الاخر باحترام القانون والعراف "[5]اما في المعجم الفلسفي لمراد وهبة "نجده يعني الحق في الاختلاف وهو ايضا السماح بحرية الفعل او الحكم على الآخرين "[6] وجاء في معجم صليبا ان مفهوم التسامح يعني قبول آراء آخرين وسلوكهم على مبدأ الاختلاف وهو يتعارض مع مفهوم التسلط وهذا المفهوم من سيمات المجتمع الديمقراطي.

---

[1] عصام عبد الله,المقومات الفلسفية للتسامح الثقافي,الامارات العربية المتحدة,د/ط 2005,ص 17

[2] منير البعلبكي,قاموس المورد,دار الملايين ,بيروت ,د/ط ,ص 970

[3] ابن منظور الإفريقي المصري,لسان العرب,دار صادر للطباعة والنشر,بيروت,لبنان,مجلد الثالث ,ط/1 1997 ,ص 25

[4] ابراهيم مذكور,المعجم الفلسفي,الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرين,مصر ,د/ط 1973 ,ص 44

[5] اندري لالاند,موسوعة الفلسفية,مرجع سابق ,ص 1461

[6] جميل صليبا,,المعجم الفلسفي,دار النشر العالمية للكتابة,ج/1 ,د/ط ,1944 , ص 271

ب –التسامح والعلمانية كأساس لقيام المجتمع الليبرالي

لقد ارتبط التسامح في العصر الحديث بمفهوم الاخلاق بالإضافة الى التغيرات التي عايشها جون لوك في عصره والتي كانت متزامنة مع الحروب والتي دارت رحاها بين البروتستانت والكاثوليك,مابين 1648/1618 الى جانب ذالك فإن مبررات فكرة التسامح عند جون لوك قائمة على تحليل نصوص الكتاب المقدس بصورة عقلية بعيدا عن فهمها وتطبيقها عاطفيا من خلال سلطة الكنيسة القائمة على التعصب , "وأراد من خلالها دحض كل ماهو غيبي ميتولوجي لهذا كان يهدف من خلال رسالة في التسامح الى اقناع الناس بأن قضية الامان بالعقيدة الدينية المسيحية امر يخص الإنسان ,وربه ولا يجوز فرضها بالقوة عن طريق حاكم ديني او مدني لهذا دافع لوك عن الحرية الشخصية وخاصة فيما يتعلق بالحق في العبادة والحرية المدنية .ففي شتاء 1685-1686 ارسل لوك خطابا –**لومبورخ**–وكان موضوعه عن فكرة التسامح وقد نشره بالغة اللاتينية عام 1689 تحت عنوان:

–Epistola de tolerntia –وترجم بعد ذالك الى اللغة الإنجليزية من طرف **poppel** باسم اول خطاب في التسامح "[1] .

"إلا ان **جوناس بروس** نقد هذه الرسالة 1690 فأضطر لوك ان يرد هذا النقد برسالته الثانية في التسامح في السنة التالية 1691 .ثم ظهرت بعد ذالك رسالته الثالثة سنة 1692 وكان الملحدين ت هذه الرسائل توضيحية وبنى التسامح على حرية المعتقد ونظريته في المعرفة ,واستثنى من تسامحه الملحدين والأشخاص الذين تتضمن عقيدتهم الولاء لسلطة خارجية "[2] والأفراد اللذين لا يتسامحون مع معارضيهم في حين انهم يطلبون التسامح من الغير . وفيما يلي نبذة عن بعض التعصب والدعوة الى التسامح تحت ستار الحكم المدني "انه من اجل هذا كله ينبغي بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني والدين,وتأسيس حدود فاصلة وعادلة بينهما وإذا لم نفعل ذالك فلى تكون هناك نهاية للخلافات التي تنشأ على الدوام بين من يملكون الاهتمام بصالح نفوس البشر من جهة ,ومن يهتمون بصالح الدولة من جهة اخرى"[3]

[1] عبد المنعم عباس,جون لوك اما الفلسفة التجريبية ,دار النهضة العربية للطباعة النشر , بيروت , 1997 , ص 64

[2] عزمي اسلام,جون لوك,مرجع سابق,ص 212

[3] جون لوك,رسالة في التسامح ,ص 19

ويضيف قائلا "يبدو لي ان الدولة مجتمع من البشر يتشكل بهدف توفير الخيرات المدنية والحفاظ عليها وتنميتها,و انا اعني بالخيرات المدنية الحياة والحرية والصحة وراحة الجسم ,بالإضافة الى امتلاك الاشياء مثل المال والأرض والبيوت وما شابه ذالك "[1]فهو يقصد من هذا ان خلاص النفوس ليس من شأن الحاكم المدني او أي شخص آخر ذالك ان "الحاكم ليس مفوضا من عند الله لخلاص نفوس البشر وان الله لم يكلف أي انسان بذالك لأنه لا يبدو ان الله قد منح مثل هذه السلطة بحيث يفرض دينه بالقوة ...لأنه ليس في امكان أي انسان حتى لو اراد ان يكون ايمانه طبقا لأوامر انسان آخر لأن جوهر الدين الحق وقوته يكمنان في القدرة على اقناع العقل اقناعا شاملا "[2]كما ان فكرة التسامح هي بمثابة مفتاح قتل الفتنة في مهدها بين الكنائس المسيحية المتناحرة ومع ذالك نجد ان مشروع التسامح عند جون لوك يؤدي نتيجة مفادها ان التعصب الديني بين مذاهب الكنيسة كان سببا في اشعال نار الحروب الدينية في عصره لكن لوك رأى ان اخماد نار التعصب يكمن في شيوع التسامح بين أفراد المجتمع وذالك لا يمكن الوصول اليه إلا من خلال فصل الدين عن الدولة بتحديد اختصاصات كل منهما في قوله "حيث ان انضمام مجموعة افراد الى الكنيسة هو فعل حر وتلقائي خالص,يصبح حق سن القوانين من اختصاص المتجمع او على الاقل من اختصاص هاؤلاء اللذين فوضهم المجتمع بالإجماع كي ينوبوا عنه في ممارسة هذا الحق .هذا يعني ان التسامح من وجهة نظر لوك ليس من حق اعد ان يقتحم بالسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية "[3]وهو يرى ان التعصب الديني الذي ساد بين الكنائس المسيحية في عصره كان مصدرا رئيسا للكراهية والقتال ومن ذالك فالفصل بين الدين والدولة أي العلمانية مدخل منطقي لنشر فضيلة التسامح حتى اننا نجده يعبر قائلا "إن التسامح بين هاؤلاء الذين يعتقدون عقائد مختلفة في امور الدين هو امر يرضي الدين والعقل "[4]فالحرية تعد فضيلة من فضائل العليا للتسامح اما الحرية الدينية تعد جزءا هاما يساعد على المحافظة في امن الدولة وكذالك المحافظة على سلامة المواطنين والعيس في امان وإذا تحققت هذه الخطوة يمكن ان تتحقق معها فضيلة اخرى وهي الاحترام المتبادل بين الناس والمحبة .

[1] جون لوك ,رسالة في التسامح ,ص 19

[2] المصدر نفسه ,ص 23

[3]المصدر نفسه ,ص 24

[4] المصدر نفسه ,ص 69

من خلال هذا تتحقق المساواة والحرية,وتمثل خطوة مهمة ليست فقط في تأمين الحقوق الكاملة لجميع المواطنين بل كالك كضمان قيمة متساوية لتلك الحقوق,ونمط التفاعل المطلوب لحفظ الاحترام المتبادل ان يقوم الافراد يتقاسمون التزام اساسيا باحترام حقوق الاخرين .

ففكرة التسامح كان ينظر اليها لوك على انها الحل العقلاني الوحيد لمعالجة هكا الصراع القائم فالتسامح يطرح لنا عدة اشكاليات تتعلق بمضمونه وحدوده ومجالاته وتاريخه وعلاقته الدينية والسياسية وحتى الفلسفية و الاخلاقية والحقوقية,ومشكلة حرية الاعتقاد والعقل وحتى حرية التعبير ,والإقرار بالاختلاف الموجود بين الديانات والتنوع وضرورة التعايش والتعاون مع كل هكا التداخل الاجتماعي وكل هكا من اجل هدف واحد وهو التطور الحضاري "والتسامح عند لوك من القواعد الاساسية التي يقوم عليها المجتمع المدني وهو بمثابة الفضيلة المدنية لهذا المجتمع فالقاعدة العامة للتسامح في اتفاق الافراد الذين يعيشون ويتركون غيرهم يعيش "[1]ويتضح من ذالك ان فكرة التسامح كانت من بين القيم العليا التي وجدت في العقد الاجتماعي والتي اقترنت مع قيمة احترام الآخرين لقد كان هذا عرضا مختصرا بحيث يراه جون لوك كافيا ليحدد فيه مهمة كل من الحاكم والدولة "وأنها مقصورة على رعاية شؤون هذه الدنيا وانه لايحق لها ان تمس اي شيء له علاقة بالحياة الآخرة".[2]

والآن نرجع الى الهيئة المقابلة وهي الكنيسة فكما وضع لنا حدودا ومهاما للحاكم فنفس الشيء بالنسبة للكنيسة وآباءها فيقول "الدين حق لم يتأسس من اجل ممارسة القهر ولكن من اجل تنظيم حياة البشر استنادا الى قواعد الفضيلة و التقوى "[3]ويتضح مما سبق ان هناك هيئتان او سلطتان سلطة مدنية تتعلق بالحاكم,وسلطة روحية تتعلق بالدين ولا يحق لأي سلطة ان تسيطر على الأخرى وهذا كله من اجل تحقيق دولة القانون ودولة الاحترام المتبادل بين افرادها ولهذا لابد من التسامح,تسامح الدين مع الدولة "لأن الحكومات العادلة المعتدلة في كل زمان هي حكومات تنعم بالسكينة اما القهر فإنه يفضي الى الحروب,الامر الذي يدفع الناس الى النضال من اجل التخلص من طوق العذاب والقهر,وأنا اعرف ان الفتن غالبا ما تحدث باسم الدين" [4]

[1] ستيفن ديليو ,التفكير السياسي والنظرية السياسية ,ص 57

[2] جون لوك,رسالة في التسامح,ص 37

[3] المصدر نفسه,ص 40

[4] المصدر نفسه,ص 56

2:اثر ليبرالية جون لوك على الواقع العربي والغربي

أ–الواقع العربي المعاصر

يمكن القول أن المجتمع المدني والديمقراطية والمواطنة مترادفات من الناحية التاريخية والعملية،فإن كان المجتمع المدني بحركته قد أفضى إلى الديمقراطية،"وكانت فكرة المواطنة هي أساس تطور الأنظمة الديمقراطية فالأخيرة بدورها قد عملت على زيادة تفعيل المؤسسة المجتمعية،وتكريس أبعاد المواطنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .دخلت فكرة المجتمع المدني إلى الفلسفة السياسية كتعبير عن وجود علاقة بين المجتمع والسياسة،وذلك من خلال الصراع بين فكرة الحق الطبيعي وفكرة العقد الاجتماعي واللحظة التي اعتبرت فيها الدولة قائمة على العقد الاجتماعي"[1]

انطلاقا من ذلك،نستطيع القول أن تعريف المجتمع المدني خضع منذ ظهوره الى الحدود التاريخية لوعي المفكرين والى الشكل الذي رأوا من خلاله علاقة السلطة السياسية بالأفراد. يكفي على سبيل المثال ما تطرقنا اليه سابقا فيلسوفنا جون لوك الذي رسم الخطوط العريضة والمثل التي تحقق لنا المجتمع الليبرالي من تسامح وحرية وفصل لسلطات والدفاع عن الملكية ورفع شعار العلمانية والديمقراطية وغيرها من الاسس التي تحقق المجتمع الآمن ويكون هذا كله ضمن تعاقد اجتماعي حيث لا يمكن إنكار مدى فاعلية الافراد في المشاركة في هذا العقد من مؤسسات حكومية وغير حكومية ومن منظمات حقوقية تدعوا إلى الحقوق المشروعة والحوار بين المحكومين والحكام وغيرها من المظاهر كالأحزاب السياسية ..."وبالتالي السياسية تحول الفرد من خاضع للنظام السياسي إلى صانع له وليحرر بعدها حقوقه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ليخوض معركة التنمية ويطالب بحق الإفادة من مفرزاتها على قدم المساواة،ليرسي في محطته الرابعة على نيل حق الديمقراطية الآخذة في الاعتبار حقوق الأقليات"[2]

"هي مراحل أربعة تحول فيها المجتمع الغربي من الإقطاعية إلى الليبرالية ومجتمع الرفاهية،وتحول فيها الفرد من مجرد إنسان طبيعي إلى مواطن حقوقي وتحولت فيها أيضا الأنظمة الملكية إلى أنظمة ديمقراطية وبالحديث عن السلطة والحكومة وبعيدا عن أي انتماء سياسي أو توجه إيديولوجي فإننا سنجد أنفسنا أمام صدى نظرية جون لوك على الساحة العربية"[3]

---

[1] صباح كريم رياح الفتلاوي،نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي،دراسة مقارنة،مركز دراسات والأبحاث,الكوفة 2008 ص 66

[2] نادية بونوة،دور المجتمع المدني في صنع وتنفيذ وتقييم السياسة العامة،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية،جامعة الحاج لخضر باتنة,الجزائر,2014 ص 62

[3] لعيدي صونية،"المجتمع المدني ...المواطنة والديمقراطية"جدلية المفهوم والممارسة "مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة"جامعة محمد خيضر–بسكرة،الجزائر 2008 ص 149

كون الشعوب العربية دفعت ثمن حماسها وتطلعاتها الجافة التي لم تبنى على ركيزة فكرية وتنظيرية قويمة،تكون البديل إلى ما بعد الثورة أو ما يسمى بالربيع العربي وهذا الثمن كانت فاتورته الفوضى،والتطاحن بين مؤيدي السلطة ورافضيها التي كان الغرض منها تغيير النظام وحسب بدون إيجاد البديل,فلقد تعالت في السنوات الأخيرة شعارات في الوطن العربي من بينها أن "الشعب يريد إسقاط النظام"هدفها التغيير،وفي المقابل كان الرد من النظام ومؤيديه قمعيا يستند إلى قوة الحكومة،"حجتهم أن هؤلاء خرجوا على دائرة العقد الاجتماعي وأن الثورة يقوم بها المجانين ويستفيد منها ألجبناء[1]وبالتالي ما مدى حضور فكر لوك في الواقع السياسي العربي المترامي الأطراف،وكيف يمكن الاستفادة منه؟

إن تتبعنا التاريخي لأسباب الصراع في المجتمعات العربية وحتى الغربية،فإننا سنجد الصراع بين الشعوب وحتى الأمم،عقائدي،وإيديولوجي واقتصادي. لكن الصراع العقائدي أكثر وطأة وحدة ,ذلك أن تابعياته لا تزول مع تغير السلطة،وهذا حال المجتمعات العربية التي تعاني إلى يومنا هذا من الصراع الطائفي فكل منهم يسعى الوصول للسلطة على حساب الأخر،ما يزيد من التناحر كما هو الحال مثلا في العراق وغيرها لذلك يدعونا لوك في رسالة التسامح إلى الاعتراف بالآخر ومن جهة أخرى يرى لوك "أنه إذا أوقعت السلطة ضررا بالحقوق الطبيعية وخصوصا بالحرية والملكية،فإن لوك يعترف للمحكومين بحق العصيان،حق الثورة.بيد أن حق المقاومة حسب رأي لوك مختلف جدا عن النظرية التي ترتكز على السيادة الشعبية ؛إن حق المقاومة فيما يرى لوك ليست غايته تحقيق المطامح الشعبية بل الدفاع عن النظام القائم أو إصلاحه "[2]إن نظرية لوك هي ذات وحي محافظ والاعتراف بالمقاومة هو وسيلة لرد الأمير إلى الصواب وللعمل على احترام القانونية... "إن حق المقاومة بنظر لوك هو دعوة للحكمة والتسوية وعليه فإن لوك ليس معاديا للسلطة بحد ذاتها بل لقراراتها وقوانينها يحاول أن يبين لنا حق الشعب في الثورة،هذه الثورة يجب أن تكون فكرية مبنية على الوعي المدني قبل كل شيء،لإعادة الحاكم من حالة الفساد إلى جادة الصواب،وليس لإسقاطه وهذه الأخيرة تكون آخر الحلول "[3]حتى لا يغرقوا

[1] عزمي بشارة المجتمع المدني دراسة نقدية،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،ط /2 2000 ص 96.

[2] المرجع نفسه,ص 101

[3] صباح كريم رياح الفتلاوي،نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي ,ص 73

في دوامة من الحروب،إذا لم تتحقق مطالبهم بشرط ان لا تخرج عن دائرة العقل،لكن المشكلة أن الثورات العربية عامة والربيع العربي بمسماه تجاوز هذه المرحلة إلى مرحلة العنف،باستثناء بعض الدول كشعوب الخليج من خلال دعوات للإصلاحات عوض التظاهر،فتفادت الصراع بل زاد استقرارها.حيث يعبر عن ذلك لوك بقوله عن الشعب أننا "في أحيان كثيرة نجده يلجأ إلى الشكوى والتذمر لرفع الظلم والغبن عنه،ولا يلجأ إلى المقاومة والثورة،إلا بعدما تتحصل لأفراده القناعة بأن الحكام طغوا وتمادوا في طغيانهم ولا سبيل لتحقيق مطالبهم وحرياتهم سوى بالمقاومة،عندئذ لا يجوز لأحد أن يلوم الشعوب على عواطفها التي يمليها عليها كونها مخلوقات عاقلة على حد تعبيره "[1]

ففي كتابه عن "الحكومة المدنية "يقرر لوك "أن الحكومة بما فيها الملك والبرلمان تكون مسؤولة سياسيًا أمام الشعب،كما أن عدم التزام الحاكم بالتصرف في تسيير الأمور العامة طبقًا لمقتضى العقد الوديعة،يستدعي بالضرورة حق المحكومين في مقاومة كل سلوك حكومي ينحى منحىً طغياني،فإذا استبد الحاكم يكون للشعب كامل الحق في مقاومة استبداده وطغيانه لأن الشعب هو الذي نصبه حاكمًا عليه برضاه وإرادته. وفي نظر لوك لا معنى للقول أن إعطاء الشعب الحق في المقاومة والثورة سيؤدي حتمًا إلى انتشار الفوضى،بل هو مقتنع بأن الشعب يتحكم في تصرفاته بالعقل،وبهدايته يقرر ويتحرك،فهو ليس فوضويًا ولا ثوريًا بالفطرة كما يزعم فلاسفة آخرون"[2]

"في هذه الحالة يمكن أن نفهم من فكر لوك الليبرالي أنه يشير إلى الحكومات الديمقراطية لكن كيف نفسر حالة الفوضى التي سادت المجتمع العربي إبان وبعد تنحية الحكام عن السلطة،وهذا ما يتضح لنا من أن الشطر الثاني من فكرته أن الشعب يتحكم في تصرفاته وانفعالاته بالعقل،وبالتالي فإن الشعوب العربية تحركها العاطفة والخطابات السياسية الفضفاضة،ما يعني أننا نحتاج إلى أرضية فلسفية وفكرية خصبة"[3]

[1] فتحي الحبوبي،الثورات العربية وتكريس مقولة حرب الكل ضد الكل،صحيفة العراق اليوم 2014/5/5 العدد 2111 ص 185
[2] جاك توشار,تاريخ الفكر السياسي,ص 203
[3] المرجع نفسه,ص 77

ب–الواقع الغربي

"إن كتاب–**المقالتان**–لجون لوك بتعبير مؤرخ النظرية السياسية **جون جاك شوفالي** (التوراة السياسي للقرن الجديد)الذي ستلتهمه الثورة الامريكية كما سيؤثر في الفكر السياسي الأنواري الفرنسي بل نرى ان تلقيه في هاذين المجتمعين السياقين كان محاطا بمزيد من الاحتفاء والتقدير اكثر بكثير من ذالك الذي حصله في المجتمع البريطاني نفسه,وقد ظل فكر لوك في صيرورة تطول الفكر السياسي الاوربي اساسا مرجعيا للفلسفة السياسية الليبرالية انه فكر يقوم في رؤيته المجتمعية على منظور ذري تجزئي يلخص الى بلورة فلسفة ليبرالية فردانية "[1]

كل هذه المفاهيم قادت إلى العديد من الثورات،وكان لها الأثرُ البالغ على تغيير التاريخ والمجتمع فشهد القرنان السابع عشر والثامن عشر الميلاديين تفجر الثورات الانجليزية , والأمريكية , و الفرنسية ،و"كان من نتائجها تغيير الفكر والأنظمة السياسيين ،ففي انجلترا تم الانتقال من الملكية المطلقة إلى الملكية الدستورية المقيدة بعد ثورتي 1648 و1688 ،والتي تقوم على الاعتراف بحقوق الشعب وحرياته المنصوص عليها في المواثيق والقوانين , وانتهي التطور الديمقراطي بأن أصبح الملك مجرد رمز للدولة بدون أية سلطة أو نفوذ فعليين."[2]ولعل ابرز مثال عن ذالك قيام العديد من الثورات اهمها :

1–الثورة الانجليزية

حيث تعد الأعمال السياسية للفيلسوف الإنجليزي جون لوك من الأعمال الرائدة والمؤسسة في الفكر السياسي الحديث,"وتتأطر نظرية لوك السياسية كونها شاهدة على الثورة الإنجليزية الثانية سنة 1689م المبشرة بالسقوط المدوي لنظرية الحكم المطلق المبني على أسس دينية لاهوتية. كما تعكس وجهة نظره في نظام الحكم،وفي الأسس التي ينبغي أن توجهه،وفي نوعية العلاقات بين الحكام والمحكومين. وقد اختلفت مواضيع هذه الأعمال الفكرية؛حيث نجده قد كتب في إشكالية الحكم والسلطة،وقضية التسامح ومسألة الدين المسيحي وغيرها."[3]

[1] صباح كريم رياح الفتلاوي،نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي,ص 103

[2] باري هندس,خطابات السلطة (من هوبز إلى فوكو)المجلس الأعلى للثقافة والنشر,مصر,القاهرة ط/1 2005 ص 155

[3] جورج سباين،تطور الفكر السياسي،ترجمة راشد البراوي،الهيئة المصرية العامة للكتب ,القاهرة ،2012ص 43

"ففي 1688،كان للبروتستانت الإنجليز دورا جوهريا في الإطاحة بالملك الكاثوليكي جيمس الثاني واستبدالهِ بنظامٍ ملكي بروتستانتي مع ويليام وماري.بعد ذلك،صادق البرلمان الإنجليزي على قانون جديد يمنحُ المزيد من الحرّيات الفرديّة والحقوق للمواطنين الإنجليز حيث نجدُ الثورتين الفرنسية والأمريكيّة من أكثرِ الثورات العالميّة تأثرا بالتّنوير"[1]

2-الثورة الأمريكيّة

ولم يقتصر تأثير لوك السياسي والفكري على فرنسا ولا أوربا فقط بل تعدته كذلك إلى أمريكا ،إذ أنه يعتبر مصدر التفكير السياسي الذي ساد الولايات المتحدة إبان ثورتها ،"وهي ثورة الشعب على الاستعمار الانجليزي انتهت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1776 , وإعلان النظام الجمهوري , والاعتراف بحقوق الأفراد وحرياتهم حيث إن وثيقة الاستقلال الأمريكية تم صياغتها بناء على أفكاره من قبل قادة الثورة آنذاك"[2].

3-الثورة الفرنسية

كما استفادت الثورة الفرنسيّة من الانقلاب الإنجليزي وأخذت بالفرصة لإنهاء الحكم الملكي بشكل نهائيّ. فقد قُطعَ رأس الملك لويس السّادس عشر ورأس زوجتهِ ماري أنطوانيت لتتأسس حكومة جمهوريّة بعد ذلك,لتتأسس نظرية العقد الاجتماعي والحرية والقانون حيث نلمس ذالك في كتابات فولتير و وكتاب روح الشرائع ل**مونتيسيكيو** وجون جاك روسو "لكن الفرق بين ثورة فرنسا والثورات التي قبلها هي ان التنوير الفرنسي اعتمد على العقل والعلم،العقل بصفته دالاً على التوجه الصحيح واستنباط الحقائق والافتراضات،كما أن العلم هو الاعتماد على التجربة والاختبار والفحص،أما التنوير الإنجليزي فقد بنى قاعدته على الأخلاق والفضيلة التي تقود الى الاهتمام بالإنسان بدافع الفضيلة والأخلاق لكن كلا التنويريين اجتمعا على التوجه الإنساني".[3]

[1] جورج سباين،تطور الفكر السياسي,ص 47

[2] المرجع نفسه,ص 68

[3] مُحَمَّد وقيع الله أحمد،مدخل إلى الفلسفة السياسية،دار الفكر للنشر دمشق،سوريا,ص 187

خاتمة

وفي خلاصة القول توصلنا من خلال هذه البحث القيم الى ان نقول ان فكر لوك الليبرالي كان مشروع هادف سواء في عصره او يومنا هذا وان الليبرالية عن لوك قوامها هو بمثابة تنظيف فكري في المجال السياسي فتوضحت لنا مجموعة من الحقائق كان ابرزها موقفه حول الدولة التي اعتبرها نتاج العقد الاجتماعي وبهذا دحض النظريات التي ترى ان الدولة منشؤها الهي او طبيعي ...يعشون وهم متساوون بالطبيعة وبهذا المعنى فإن المساواة معناها الحرية وبفصل هذين المفهومين يتمكن الناس من ان يكونوا اسيادا لأنهم انتقلوا من الحالة الطبيعية الى الحالة الاجتماعية والسياسية المنظمة وكل هذا معناه اقتناع ذاتي من الافراد على تموين مجتمع حضاري,وان هدف الدولة هو تامين السلم وحماية الملكية الفردية وتماشت هذه الافكار مع روح العصر

فمضمون ليبرالية لوك هو انه عارض الافكار التي كانت سائدة في العصور الوسطى والتي كانت ترى ان مهمة الدولة هي مهمة اخلاقية وفكرة الحقوق الطبيعية مبنية على فكرة حقوق الناس التي لا تنتهك وبالتالي فليبراليته في حقيقتها ترتكز على التعاقد على مستويات عديدة كالعقد بين الرجل والمرأة والغاية منه الانجاب,والعقد بين الطفل ووالديه والغاية منه التربية وبناء مجتمع فاضل وبين الناس والغاية منه الحفاظ على الملكية الخاصة وفق بنود تكمن داخل هذا العقد ذاته والذي طلق عليه جون لوك مصطلح **الوديعة** فظهرت افكار جديدة استثمرها الفلاسفة السياسيون من بعده عندما اكد على ان الملكية الخاصة تنتج من عمل الفرد وهذا في المجال الليبرالي الاقتصادي,وفي الوقت ذاته للفرد الحق بأن يمتلك,ولكن ليس له الحق ان يبدد الاشياء التي يمتلكها بل هناك مصادر كافية لإشباع حاجاته,لهذا قيل ان المجتمع السياسي الليبرالي المنضم الحقيقي هو المجتمع البريطاني في زمن جون لوك لأن الدولة السياسية في يد المالكين,مع وجوب مشاركة المواطنين لبعض الحقوق القانونية أي دافع لوك عن واقع اجتماعي وإنساني,وبهذا حافظ على حرمة الحقوق بواسطة فكرة العقد وتبنى الامريكيون من بعده فلسفته الجديدة قوامها حكم جديدي يقوم على الحرية والمساواة,فالبشر كلهم معرضون للمعاناة خاصة عندما يكون هناك شر اكثر من تصحيح انفسهم عن طريق ازالة الاشكال التي اعتادوا عليها والغاية من هذا كله القضاء على الملكية المطلقة والإرادة المباشرة للحكم,وتبنى مبدأه الليبرالي مذهب عدم انتهاك الحقوق الفردية,كما توصلنا الى اثر جون لوك عن الفرنسيين خاصة فيما يتعلق بحركة الموسوعيين الفرنسية في القرن الثامن عشر,ولا شك ان لوك كان يريد من وراء ذالك الثورة على لويس الرابع عشر الذين اتسموا بالطغيان والحكم الاستبدادي وبالتالي فأفكار لوك قوبلت برحابة صدر واسعى من طرف الغربيين عكس المجتمع العربي اللذي حتى وان مارس ثوراته على الحكام الى انه في نهاية المطاف لم يصل الى الديمقراطية المرجوة بل انتهت بالتشريد والعيش في حالة اسوء مما كانت عليه كان ها في مجال صدى واثر فكر لوك على باقي الدول,ومن النتائج المتوصل اليها ايضا من ان فلسفة لوك السياسية كانت تقتضي مبدأ الحكم الملكي الدستوري القائم على الفصل بين السلطات,في مجتمع يكون اساسه العقد الاجتماعي الذي

يؤدي الى قيام الحكم الملكي والذي يشرع الثورة على الملك اذا تجاوز حقوقه وحدوده و م يستلزم بالقوانين,ولكن حق الثورة هو الدفاع عن النظام القائم او اعادته من اجل فرض احترام الشرعية حتى يتم ابعاد خطر الثورة الشعبية ولا يشكل هذا أي دعوة من العصيان ,نفهم من هذا ان حق الثورة ماهو إلا دعوة للتعقل والتسوية والتسامح .حتى ان هذا الاتجاه اثر فيما بعد في كتابات **مونتيسكيو** الذي اعتبر ان الفرد يولد حرا متمتعا بالعقل الذي يحسن به اختيار جماعته السياسية المبنية على الرضا

واهم من كل هذا فأبعاد ليبرالية لوك عديدة لكن اهمها حسبه هو الدعوة الى التسامح ودافع بشدة عن ذالك من خلال كتابه رسالة في التسامح ينادي فيها بالقضاء على روح التعصب الديني و اقامة دين على عقل والفصل بين ماهو ديني ودنيوي وتعتبر هذه عدوة واضحة لفكر علماني,لأنه قدم للأفراد كامل الحرية في تسيير حياتهم وتقرير شؤونهم الدينية الخاصة .

و اصبح الإنسان مع لوك له مكانة سامية في تاريخ الفكر السياسي وجعل حياته اكثر معقولية,وكان الهدف من وراء هذا كله التأكيد على انه ليس من حق أي احد ان يقتحم باسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية وخلاص النفوس من شأن خالقها لأن الله لم يفوض احد بأن يفرض دينا معينا,لأن قوة الدين تكمن في باطن الإنسان واعتبر ان مبدأ التسامح لا يتعارض مع ما جاء في مبادئ المسيحية .

وصفوة القول ان ليبرالية لوك كان لها مساهمة فعالة في ربط القانون بفكرة الملكية الخاصة وترتب على ذالك حماية الارواح والممتلكات وفرض العقوبات على المتعدي عليها,والمجتمع المدني اصبح مع جون لوك يتمتع بحرية محدودة في ضل قانون مبني على التراضي فتقدمت مسيرة الفكر الليبرالي لتكون وليدة عصره وليس تجميع لفلسفات ما قبله بأبعاده للطابع الالهي المقدس عن الكم السياسي فتحققت فوائد للمجتمع الاوربي وأصبحت مصدرا اساسيا للقضايا السياسية الى يومنا هذا .

قائمة المصادر والمراجع

1-قائمة المصادر

1 جون لوك,رسالة في التسامح,ترجمة عبد الرحمن بدوي,دار الغرب الاسلامي,ط1 بيروت 1988

2 جون لوك ,مقال الحكومة المدنية,ترجمة ماجد فخري أللجنة الدولية لترجمة الروائع ,بيروت 1959

2-قائمة المراجع

1 ابراهيم دسوقي اباضة,عبد العزيز غنام , تاريخ الفكر السياسي , دار النجاح ,بيروت ,د.ط, 1973

2 ابن منظور الإفريقي المصري,لسان العرب,دار صادر للطباعة والنشر,بيروت,لبنان,مجلد الثالث ط/1 1997

3 اسماعيل علي سعد ,المذاهب والنظم السياسية ونشأة الدولة ,دار المعرفة الجامعية ,الاسكندرية د/ط 2010

4 الامام عبد الفتاح ,الاخلاق والسياسة ,المجلس الاعلى للثقافة ,القاهرة , د/ط 2002

5 امام عبد الفتاح إمام,الاخلاق السياسية دراسة في فلسفة الحكم,المجلس الاعلى للثقافة,دمشق 2001

6 اميرة حلمي مطر ,الفلسفة السياسية من افلاطون الى ماركس ,دار المعارف ,مصر ,ط/5 1995,

7 باري هندس,خطابات السلطة (من هوبز إلى فوكو)المجلس الأعلى للثقافة والنشر,مصر,القاهرة ط/1 2005

8 برهيه اميل ,تاريخ الفلسفة "القرن السابع عشر ",دار الطليعة للطباعة والنشر ,ترجمة جورج طرابيشي ,بيروت 1993

9 بيرتراند راسل ,تاريخ الفلسفة الغربية ,ترجمة مُحَمَّد فتحي الشنيطي ,المكتبة المصرية ,القاهرة , 1979

10 جان توشار , تاريخ الفكر السياسي ,ترجمة علي مقلد ,الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع ,ط2, بيروت ,1983

11 جورج سباين،تطور الفكر السياسي،ترجمة راشد البراوي،الهيئة المصرية العامة للكتب ,القاهرة ،2012

12 جون دن,جون لوك,مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ,تر فايقة جرسس حنا,بيروت 2012

13 حمود حمبلي,حقوق الانسان بين النظم الوضعية و الشرعية ,ديوان المطبوعات الجامعية ,بن عكنون ,الجزائر 1999

14 روبرت بالمر,تاريخ العالم الحديث ,تر علي حسن دانون,دار ألمتنبي بغداد ,العراق د/ط 1964

15 ستيفن ديلبيو,التفكير السياسي والنظريات السياسية,ترجمة ربيع وهبة,دار الطليعة د/ط ,بيروت 1996

16 سليمان بن صالح الخراشي،حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها

17 سمير خليل وآخرون , التسامح بين الشرق والغرب , ترجمة إبراهيم العريس دار السياقي ,ط1 سوريا 1992

18 شاخت ريتشارد,رواد الفلسفة الحديثة,الهيئة المصرية العامة للكتب,ترجمة احمد محمود مصر 1997

19 صالح مصباح,فلسفة الحداثة الليبرالية الكلاسيكية من هوبز الى كانط,دار الجداول ,بيروت 2014

20 صباح كريم الفتلاوي,نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي,دراسة مقارنة,العدد,مركز دراسات الكوفة , 2008

21 طيب بوعز,نقد الليبرالية,دار التنوير للنشر والإعلام.مصر 2011

22 عبد المنعم عباس,جون لوك اما الفلسفة التجريبية ,دار النهضة العربية للطباعة النشر,بيروت 1997

23 عبد الوهاب الكبالي,الموسوعة السياسية ,المؤسسة العربية للدراسات والنشر ,بيروت ,لبنان ,د/ط 1986

24 عبدا لله العروي ،مفهوم ألحرية الطبعة الخامسة المركز الثقافي العربي،بيروت 1993

25 عزمي اسلام ,جون لوك ,الهيمنة المصرية العامة للكتب, القاهرة د/ط 2007

26 عزمي بشارة المجتمع المدني دراسة نقدية،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،ط/2 2000.

27 عصام عبد الله,المقومات الفلسفية للتسامح الثقافي,الامارات العربية المتحدة,د/ط 2005

28 علي عبد المعطي مُحَمَّد ,الاتجاهات الفلسفية الحديثة ,دار المعرفة الجامعية ,الإسكندرية
29 عمرو هشام مُحَمَّد ،مدخل في مدارس الفكر ألاقتصادي ,دار طلاس ،دمشق 2009
30 فاروق عبد المعطي,جون لوك من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث,دار الكتب العلمية , ط1 بيروت , لبنان 1993
31 فريال خليفة ,المجتمع المدني عند توماس هوبز وجون لوك ,مكتبة مدبولي,القاهرة ,2005
32 فضل الله مُحَمَّد ,الاصول اليونانية للفكر السياسي ,دار الجامعيين للطباعة والتجليد ,الاسكندرية ,2001
33 كوينتين سكنر ،الفكر السياسي الحديث ،المنظمة العربية للترجمة بيروت ج 1 تر ,حيدر حاج اسماعيل. 2012
34 ليوستراوس وجوزيف كروسي,تاريخ الفلسفة السياسية,ترجمة محمود سيد احمد,المجلس الاعلى للثقافة,القاهرة,2005
35 مُحَمَّد الأحمري ,الديمقراطية الجذور وإشكالية التطبيق ,الشبكة العربية للأبحاث والنشر ,بيروت 2012
36 مُحَمَّد كامل ،النظم السياسية ،الدول والحكومات ،دار النهضة العربية ،بيروت , 1969
37 مُحَمَّد نصر ,تطور المذاهب والنظريات السياسية ,دار الفجر للنشر والتوزيع ط/1,القاهرة 2003
38 المحمداوي علي عبود وآخرون ,من الشموليات الى السرديات الصغرى ,دار الروافد ألثقافية بيروت لبنان ط/1 2002
39 مصطفى الخشاب,تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ,مطبعة لجنة البيان العربي ,القاهرة 1953
40 مصطفى حسن النشار ,مدخل الى الفلسفة السياسية والاجتماعية ,المسيرة للطباعة والنشر الاردن د/ط 2012
41 موريس دوفرجيه,المؤسسات السياسية والقانون الدستوري,ترجمة رج سعد,المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر,بيروت ,ط/1 1992
42 مونتسكيو ,روح الشرائع,ترجمة عادل زعيتر ,دار المعارف ,مصر د/ط 1953
43 يوسف كرم,تاريخ الفلسفة الحديثة ,دار المعارف ,مصر ,د ط 2001 ,

ثالثا–المراجع الاجنبية

1-louis favoreu de la lois et du règlement,2édition economica,1981

2-Bernard Chante bout, droit constitutionnel et science politique, 16edition, Armand Colan, Paris,1999

رابعا–القواميس والمعاجم

1 ابراهيم مذكور,المعجم الفلسفي,الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرين,مصر ,د/ط 1973
2 منير البعلبكي,قاموس المورد,دار الملايين د/ط ,بيروت 1998
3 المعجم الفلسفي،مجمع اللغة العربية،القاهرة ،دار الوثائق 1983
4 مراد وهيبة ,المعجم الفلسفي ,دار قباء الحديثة للنشر والتوزيع ,القاهرة ,د/ط 2007
5 جميل صليبا,,المعجم الفلسفي,دار النشر العالمية للكتابة,ج/1 ,د/ط ,1944

خامسا–قائمة المجلات والموسوعات

1 اسماعيل الحبوبي،الثورات العربية وتكريس مقولة حرب الكل ضد الكل،صحيفة العراق اليوم 2014/5/5 العدد 2111
2 اندري لالاند،موسوعة لالاند ألفلسفية,ترجمة خليل أحمد خليل المجلد الأول منشورات عويدات،بيروت ط 2
3 سمير كرم ,الموسوعة الفلسفية ,دار الطليعة ,بيروت ط/2 1989
4 طلال حامد خليل,المرتكزات الفكرية لليبرالية,مجلة دفاتر السياسة والقانون,جامعة الجزائر,العدد الخامس عشر ,جوان 2016
5 مها عيسى فتاح،نقد افلاطون للسفسطائية ،مجلة الآداب ،جامعة البصرة ،العدد 41 سنة 2006

سادسا–رسائل الدكتوراه والماجستير

1 لعيدي صونية،"المجتمع المدني ...المواطنة والديمقراطية"جدلية المفهوم والممارسة "مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة"جامعة مُحَّد خيضر–بسكرة،الجزائر 2008

2 نادية بونوة،دور المجتمع المدني في صنع وتنفيذ وتقييم السياسة العامة،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية،جامعة الحاج لخضر باتنة,الجزائر,2014